الهجرة العائدة وإعادة تشكيل الثقافة الإنجابية:
دراسة ميدانية للعائدين من مجتمعات غربية (*)

د/ عبد المجـــيد أحمـــد هنـــدي
مدرس ــ جامعة المنيا ــ كلية الآداب
قسم الدراسات السكانية

ملخَّص الدِّرَاسَة

استهدفت الدراسة محاولة استكشاف العلاقة المتشابكة بين الهجرة العائدة والخصوبة كأحد عاملي الزيادة الطبيعية للسكان، ولهذا طرحت الدراسة عدة تساؤلات حول طبيعة الثقافة الإنجابية للموطن الأصلي للمهاجرين العائدين، ومدى اكتساب هؤلاء لثقافة إنجابية جديدة في بلدان المهجر. وطُبقت الدراسة على عينة قصدية قوامها عشر حالات من الأزواج العائدين من بلدان أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ويقيمون بمحافظة المنيا بصعيد مصر وقت إجراء الدراسة، وقد كشفت النتائج العامة عن وجود الكثير من الدلائل التي تؤكد بقاء الثقافة الإنجابية المشجعة لزيادة الإنجاب بالمجتمع، بما تتضمنه من عادات وتقاليد وقيم تؤيد الزواج المبكر، وختان الإناث، وتفضيل إنجاب الذكور، والإنجاب المباشر للزواج، وعدم استخدام وسائل تنظيم الأسرة للأزواج، وعدم الاكتفاء بطفلين. كما أشارت التحليلات المتعمقة لتعرض واكتساب عينة الدراسة لثقافة إنجاب جديدة تشجع على ضبط الخصوبة أثناء فترة الإقامة.

الكلمات المفتاحية: الهجرة العائدة ، ثقافة الإنجاب ، الخصوبة.

Return Migration and Restructuring of Reproductive Culture: A Field Study of Returnees From Western Societies

Abstract

The study aimed to explore the interrelationship between return migration and fertility as one of the natural growth factors of the

(*) مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٧٩) العدد (٣) أبريل ٢٠١٩.

population, by exploring the reproductive culture of returnees from Western societies, and the extent of their contributions to the restructuring of the original culture of the study society. Therefore, the study raised several questions about the kind of reproductive culture of the original home of returning migrants. The study has been applied on purposely selected sample of ten cases of couples returning from the countries of Europe and the United States of America and residing in Minya governorate in Upper Egypt at the time of the study, the general results revealed that there are many signs that confirm the existence of reproductive culture that encourages the increase of reproduction in society, The analysis also showed that the study sample was exposed to a new reproductive culture that encourages fertility control during the period of residence.

Key words: Return Migration - Reproductive Culture - Fertility

مقدمة:

استرعت الهجرة الدولية العائدة ــ لما لها من أهمية بارزة في عملية التنمية الاقتصادية ــ اهتمام الباحثين والمتخصصين في مختلف المجالات، فقد سلطت غالبية الأدبيات الضوء على إسهامات الهجرة العائدة في تدعيم التنمية الاقتصادية والحراك الاجتماعي والمهني لبلدان المصدر، من خلال التحويلات المالية والعينية المتنوعة، فضلاً عن الخبرات الفنية والمهارات المتراكمة.

ورغم التأكيد على الحقيقة السابقة، إلا أن العائدين لا يساهمون في عملية التنمية الاقتصادية فحسب، فقد يقدمون دورًا محوريًّا في تنمية العنصر البشرى، من خلال إعادة تشكيل القيم والمعارف الإيجابية المكتسبة في بلدان الهجرة. وطالما أننا نتفق في ظل المستجدات المعاصرة ــ بما فيها من حركات سكانيةــ، بمرور المجتمع المصري بالعديد من التحولات الاجتماعية خلال العقود الأخيرة، فلا بد أن نؤمن بنفس القدر بحدوث تغيرات موازية، وإعادة تشكيل في كثير من القيم والمعايير والعادات والتقاليد التي تشمل

تصورات وممارسات الأفراد تجاه مختلف القضايا.

وإلى جانب المعرفة التقنية والموارد المالية، يحمل المهاجرون العائدون "التحويلات الاجتماعية"، التي تقدم ابتكارًا يتجاوز نطاق العمل في البيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية. وتشتمل التحويلات الاجتماعية على أفكار وقيم وسلوكيات وهويات جديدة، يمكن أن تساعد في التنمية الاجتماعية والثقافية والسياسية للموطن الأصلي للمهاجرين. لذا فإن جماعات الهجرة العائدة عادة ما يكون لها دورٌ فاعلٌ (Bacchi,2014,3).

ولما كانت الثقافات المرتبطة بالإنجاب، وما تتضمنه من ممارسات وعادات وتقاليد، متباينة باختلاف الزمان والمكان، فإن للحركات السكانية والمهاجرين العائدين دورًا في خضم ما تحياه المجتمعات المعاصرة من هجرات سريعة ومتبادلة، في تبادل وتشكيل تلك الثقافات، أو بعبارة أكثر وضوحًا منسوبة إلى الأمم المتحدة (التداول الدولي للأفراد يؤدى إلى التداول الدولي للأفكار)؛ بمعنى نقل المعرفة من خلال المواطنين المهاجرين ***Transfer of Knowledge Through Expatriate Nationals*** (***TOKTEN***) .(Fargues,2011,610)

وعود على بدء، فإن للهجرة الدولية العائدة تأثيرًا في تشكيل ثقافة الإنجاب، أو بالأحرى المساهمة في التحول الديموجرافى للبلدان النامية من خلال متغير الهجرة على المدى البعيد. وإن كان الأمر نسبيًّا تبعًا لطبيعة وموقع كل دولة على خريطة التحول، وكذا طبيعة تيارات الهجرة الدولية العائدة، فالعائدون من البلدان الأوربية ذات الخصوبة المنخفضة، يمكن لهم نقل معايير وقيم وأفكار ثقافة ضبط الإنجاب، بخلاف العائدين من مجتمعات تتصف بمعدلات خصوبة مرتفعة وتشجع ثقافتها الإنجابية على زيادة الإنجاب كما الحال في دول الخليج (Bertoli,2015,1,3).

وما من شك في أن البلدان الأوربية تتميز بانخفاض ملحوظ في معدلات الخصوبة، حيث تشير توقعات الأمم المتحدة إلى ثبات معدل

الخصوبة لأوربا في المستقبل خلال الفترة (٢٠١٠/٢٠٣٠)، ففي الوقت الذى يصل فيه معدل الخصوبة الكلى الحالي إلى (١,٦) طفل لكل سيدة بفارق (٠,٥) تحت مستوى الإحلال (٢,١) طفل لكل سيدة خلال الفترة (٢٠١٠/٢٠١٥)، فمن المتوقع أن يتوقف المعدل عند (١,٦) أيضًا بحلول العام (٢٠٢٠)، وأن يزيد بمقدار (٠,١) فقط بعد مضى عشر سنوات أخرى، أي حوالى (١,٧) طفل لكل سيدة بحلول العام (٢٠٣٠). ولا يختلف الحال كثيرًا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، حيث تتميز أيضًا بثبات معدل الخصوبة في المستقبل عند (١,٩) طفل لكل سيدة، خلال الفترات الزمنية المذكورة آنفًا (United Nations, 2017,32:36).

وانطلاقًا مما سبق فإن الدراسة الحالية، سوف تحاول استكشاف التأثير الناتج عن عودة المهاجرين الدوليين، القادمين من المجتمعات الغربية التي يسود بين مواطنيها ثقافة الخصوبة المنخفضة، في إعادة تشكيل ثقافة الإنجاب بمجتمع الدراسة، الذى تسود فيه العديد من الاتجاهات والقيم والمعارف والأفكار التي تشجع على زيادة الإنجاب وليس العكس.

أولًا: منهجية دراسة العلاقة بين الهجرة العائدة وإعادة تشكيل الثقافة الإنجابية

١- هدف الدراسة وأهميتها

المتأمل في تراث البحوث السكانية في مصر، يلاحظ أن أغلبها قد انصب على بعدى الخصوبة والوفيات. ولم تنل الهجرة الخارجية ــ خاصة نمط الهجرة العائدة ــ نصيبها من الاهتمام حول علاقتها المتشابكة بعاملي الزيادة الطبيعية (الخصوبة والوفيات)، أو الأبعاد الديموجرافية المصاحبة لها، ومن هنا تستهدف الدراسة استكشاف ملامح ثقافة الإنجاب لدى المهاجرين العائدين من مجتمعات غربية، وتحديد مظاهرها (زوالها، ثباتها، إعادة تشكيلها)، في ظل الثقافة الإنجابية الغربية التي تعرضوا لها، وكذا إسهاماتهم المحتملة في إعادة تشكيل ثقافة الإنجاب لدى بعض الجماعات بمجتمع

الدراسة، في حال اكتسابهم لتلك الثقافة الجديدة.

ومن ثم فإن الأهمية النظرية والتطبيقية للدراسة تكمن فيما يلى:

- نظريًّا، تحاول هذه الدراسة مسح التراث البحثي، وعرض أهم إسهامات الهجرة العائدة للموطن الأصلي من الناحية الديموجرافية، وكذا ثقافة الإنجاب السائدة بمجتمع الدراسة، وصورها ومدى إسهامها في تفاقم المشكلة السكانية.
- ومن زاوية أخرى، سوف تستخلص الدراسة موجهًا نظريًّا يتألف من عدد من الاتجاهات النظرية الملائمة لطبيعة الدراسة.
- تطبيقيًّا، سوف تحاول الدراسة الاقتراب من واقع المهاجرين العائدين بمجتمع الدراسة، والكشف عن إسهاماتهم في إعادة تشكيل ثقافة الإنجاب بالجماعات المحيطة (الأقارب، والأصدقاء، والجيرة)، والذى سيكون بمثابة نافذة أمام الكثير من الباحثين، لدراسة القضية موضوع الدراسة من زوايا أخرى، ووضعها على خريطة التحول الديموجرافى الحالية والمستقبلية. فضلاً عن إمداد صانع القرار بمعلومات وبيانات تسهم في وضع سياسات للتصدي للمعوقات الثقافية، التي تحول دون تحقيق المستهدف من الجهود المبذولة في الحد من النمو السكاني.

٢- مشكلة الدراسة

ثمة شواهد تدلل على انتشار كثير من القيم والمعايير والعادات والتقاليد التي تحفز على زيادة الإنجاب في مجتمعنا، منها ما يسبق مرحلة الحمل والإنجاب كقيمة الزواج المبكر للفتاة، والحرص على أن تكون مختنة، أو بعد الزواج كالحرص على الحمل المبكر، أو الإنجاب المباشر عقب الزواج (أي عدم استخدام وسائل تنظيم الأسرة قبل إنجاب الطفل الأول)، وعزوف الأزواج عن استخدام الوسائل الخاصة بهم، وتفضيل إنجاب الذكور مقارنة بالإناث، وعدم الاكتفاء بإنجاب طفل أو اثنين على الأكثر... إلخ.

وفى حال هجرة قاطني هذه المجتمعات المشجعة على الإنجاب،

والإقامة بالمجتمعات الأوربية منخفضة الخصوبة، فلا بد من أن يواجه المهاجر ثقافة مغايره تمامًا مع ما سبق أن أسلفنا، وهى بالطبع ثقافة إنجابية مضادة لا تحفز على زيادة الإنجاب، وغالبًا ما يترتب عليها ثبات أو انخفاض معدلات النمو السكاني. هذا من جانب، ومن جانب آخر، يجب ألا نغفل أن هؤلاء المهاجرين إلى المجتمعات الغربية، ينتقلون ومعهم العديد من القيم الثقافية الإنجابية التي غُرست فيهم منذ رشدهم.

وتفرز مشكلة الدراسة هنا، من خلال تفاعلات المهاجرين أثناء فترة الهجرة، وبعد العودة للموطن الأصلي بين نمطين من ثقافة الإنجاب، (نزعة تشجيع الخصوبة ***Pronatalism***، وضبط الخصوبة ***Antinatalism***). وبالتالي فإن بيت القصيد في إشكالية الدراسة، هو أن تلقى هذا النمط من الثقافات الغربية والتفاعل معه واكتسابه – في ظل انغماس الثقافة الأصلية– يطرح علينا تساؤلات عدة، سواء خلال فترة الإقامة بالمجتمع المضيف، أو بعد العودة للموطن الأصلي وبيانها على هذا النحو:

٣- تساؤلات الدراسة

١- ما الصورة العامة لنمط الثقافة الإنجابية المتداول في مجتمع الدراسة، وما تصورات المهاجرين نحوها قبل قرار الهجرة؟

٢- هل تمكن المهاجرون من اكتساب ثقافة إنجابية جديدة في بلدان الهجرة، أم العكس (أي نقل ثقافة المهاجرين الإنجابية للمجتمع المتلقي)؟

٣- هل يمكن أن يساهم المهاجرون العائدون بعينة الدراسة في نشر الثقافة الإنجابية التي تعرضوا لها، وبالتالي إعادة تشكيل الثقافة الإنجابية لدى الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء بالمجتمع المحلى؟

٤- ما العقبات التي يحتمل أن تواجه العائدين بالثقافة الجديدة في نشرها وإعادة تشكيلها بمجتمع الدراسة؟

٤- الإجراءات المنهجية

أ- نوع الدراسة

تعد الدراسة الحالية استطلاعية، لما تحاول أن تقدمة من أفكار ومعلومات جديدة يمكن من خلالها الاستبصار بمحاور مشكلة الدراسة وفهمها من خلال مسح التراث البحثي، الذى يطرح لبعض الجوانب القريبة من قضية الدراسة، وتحليل حالات الدراسة لاستكشاف ثقافتهم الإنجابية الحالية، واستيضاح آرائهم وأفكارهم المعاصرة لفهم إشكالية الدراسة.

ب-الطريقة العامة للبحث وأداة جمع البيانات

سوف تعتمد هذه الدراسة على طريقة دراسة الحالة، كإطار يُنظم من خلاله البيانات والمعلومات المتعلقة بالمهاجرين العائدين، مع تقص شامل ومتعمق لتاريخ الحياة أثناء فترة الهجرة، لفهم التطور الذى مرت به حالات الدراسة في مجتمعها الثقافي (المجتمع الغربي)، ثم استكشاف الخبرات والمكتسبات والأفكار والقيم الجديدة لثقافة الإنجاب ومستجداتها في الموطن الأصلي، عند التعمق في الثقافة الإنجابية التي تعيشها حالات الدراسة بالمجتمع المحلى.

وفى ضوء ذلك، قام الباحث بإعداد **دليل مقابلة متعمقة شبة مقننة،** كأفضل أداة يمكن الاعتماد عليها في الدراسات الاستطلاعية، التي لا يتوافر فيها إلا قدر قليل من الأدبيات السابقة، التي تطرح لبعض جنبات القضية موضوع الدراسة (مايتوز، روس، ٢٠١٦، ٤٥٦).

وبالتالي قام الباحث بإعداد دليل مقابلة متعمقة شبة مقننة، تضمن ثلاثة محاور رئيسة: احتوى الأول منها على **البيانات الأساسية** لحالات الدراسة مثل (السن، ومحل الإقامة، والسن عند الزواج، وعدد أفراد الأسرة، وبلد الهجرة، وتاريخ الهجرة، وتاريخ العودة، والهجرة بمفردة أو باصطحاب العائلة في حالة الزواج)، والمحور الثاني؛ تضمن بعض التساؤلات حول **ثقافة الإنجاب في الموطن الأصلي، وقبل هجرة حالات الدراسة** لتغطية

بيانات عن (ما يتصف به مجتمع المنشأ من قيم وعادات وتقاليد وموروثات ثقافية تتعلق بالإنجاب، وموقف حالات الدراسة من تلك الثقافة قبل الهجرة)، أما المحور الأخير؛ فقد تضمن بيانات حول **تلقى ثقافة الإنجاب في مجتمع الهجرة ومكتسباتها ومحاولات نقلها بعد العودة**، وقد احتوى على بيانات حول (ما يتصف به مجتمع الهجرة من قيم وعادات وتقاليد ثقافية تتعلق بالإنجاب، ومدى التأثر بها، وصور ونماذج الثقافة الإنجابية التي اكتسبها المهاجرون بعد عودتهم، ومحاولات نقلها للأقارب والأصدقاء والجيران، والعقبات المحتملة التي يواجهها العائدون عند محاولة نقل الثقافة الإنجابية المكتسبة للفئات المذكورة بمجتمع الدراسة).

ج- المجتمع الأصلي والعينة

أجريت الدراسة داخل نطاق محافظة المنيا، كأحد مجتمعات الوجه القبلي المعروفة بثقافتها الخاصة المشجعة على زيادة الإنجاب. ومن بيانات الجدول رقم (١) يتضح أن إجمالي عدد سكان المحافظة يبلغ (٥٤٦٠٣٩٩) عام (٢٠١٧)، بالترتيب الثامن (قبل الأخير) من بين تسع محافظات تابعة لإقليم الوجه القبلي، ومتخطية بذلك سبع محافظات من حيث حجم السكان هي: (الأقصر، وأسوان، وبنى سويف، وقنا، والفيوم، وأسيوط، وسوهاج) على الترتيب، ولا يزيد عنها سوى محافظة الجيزة بإجمالي (٧٩٤٠٨٦٣) نسمة وفى الترتيب الأخير، كما جاءت المنيا في الترتيب الأخير لما تحوزه من نسبة عالية من سكان الريف الأكثر دعمًا لتلك الثقافة، والمقدرة بحوالي (٨١,٣%) من بين المحافظات الأخرى.

فضلاً عما سبق، فهي تعانى من نمو سكاني ملحوظ نتج عنه ارتفاع نسبة المساحة المأهولة بالسكان إلى (٢٤١١,٦٥) / كم٢، وبالترتيب الأخير أيضًا من بين محافظات الإقليم.

ومن بين المؤشرات التي تدلل على ارتفاع نسبة الزواج داخل نطاق المحافظة، وصول معدل الزواج إلى (٩,٨) لكل (١٠٠٠) من السكان، وفى

الترتيب السابع من بين تسع محافظات، أما معدل المواليد فيصل إلى (٣٣) مولودًا لكل (١٠٠٠) من السكان، وفى الترتيب السابع أيضًا، بينما وصل معدل الإنجاب الكلى إلى (٣,٩) طفل لكل سيدة في الترتيب الخامس، وكذا تصل نسبة المختتنات في العمر (٠ – ١٩) إلى ١٨,٥% ، وهى نسبة ما زالت مرتفعة.

وهنا يلاحظ أن مجتمع الدراسة، لم يحرز تقدمًا في ترتيبه لتلك المؤشرات المختارة، مع الأخذ في الاعتبار ارتفاع المؤشر قبل الأخير مقارنة بالمستهدفات المطلوبة لمتوسط عدد الأطفال الذى يمكن أن تنجبهم السيدة خلال فترة حياتها الإنجابية، وكذا فهي في الترتيب الأخير لمعدل الأمية (١٥ سنة فأكثر) والذى يصل إلى (٣٧,٦%) مقارنة بباقي محافظات الإقليم (المجلس القومي للسكان، ٢٠١٧، ١٢–٤٣)، وهى الفئة التي تشجع على زيادة الإنجاب؛ بما تتمسك به من اتجاهات وقيم وموروثات ثقافية، ويتطلع صانعو القرار وواضعو السياسات لتغييرها بشتى الوسائل.

جدول رقم (١)

ترتيب محافظة المنيا لبعض المؤشرات المختارة من بين محافظات الوجه القبلي وفقًا لبيانات عام ٢٠١٧

المؤشر	القيمة	الترتيب بين (٩) محافظات
إجمالي حجم السكان	٥٤٦٠٣٩٩	الثامن
نسبة سكان الريف	٨١,٣%	الأخير
المساحة المأهولة بالسكان	(٢٤١١,٦٥) كم٢	الأخير
معدل الزواج	٩,٨ / ١٠٠٠ من السكان	السابع
معدل المواليد	٣٣ / ١٠٠٠ من السكان	السابع
معدل الإنجاب الكلى	٣,٩ طفل / سيدة	الخامس
معدل الأمية (١٥ فأكثر)	٣٧,٦%	الأخير

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، ٢٠١٧.

عينة الدراسة

اختار الباحث عينة قصدية قوامها عشر حالات من المهاجرين العائدين من مجتمعات غربية ويقيمون بمجتمع الدراسة (محافظة المنيا)، وقد جمعت العينة بين العمالة العائدة والطلاب الدوليين العائدين بعد انتهاء فترة ابتعاثهم بالبلدان الأوربية، وقد روعي أن تكون جميع حالات الدراسة قد أمضت على الأقل عامًا واحدًا ببلدان المقصد تماشيًا مع مفهوم الهجرة العائدة، وحتى يتسنى لهم التعرض للثقافة الجديدة، والتفاعل معها.

ومَثَّل حجم العمالة العائدة ثلاث حالات، بينما كان الطلاب الدوليون سبع حالات دراسية، وجميعهم من الأزواج المنجبين، وقد انحصر المدى العمرى لأعمارهم بين (٣٤) سنة و(٤٩) سنة بوسيط مقداره (٤٣) سنة.

وتتفاوت مدة الإقامة بالبلدان التي هاجروا إليها، حيث يصل الحد الأدنى لمدة البقاء إلى أربع سنوات، وست سنوات كحد أقصى، بوسيط مقداره خمس سنوات لجميع الحالات، وفيما يتعلق بمدة البقاء بمجتمع الدراسة بعد العودة، فقد عادت حالات الدراسة في فترات زمنية متفاوتة مضى على أقربها أكثر من عام، بينما مضى على أبعدها زمنيًّا حوالى سبع سنوات.

ويقيم بعض حالات الدراسة بمدينة المنيا، رغم أنهم ينتمون إلى أصول ريفية، بينما يقيم البعض الأخر بمراكز حضرية أخرى تابعة للمحافظة وهى: ديرمواس، وسمالوط، ومغاغا، وأغلبهم من أصول ريفية تابعة لتلك المراكز. من جانب آخر، هاجرت ست حالات بمفردهم دون أسرهم، بينما هاجر باقي حالات الدراسة وعددهم أربع حالات بأسرهم، لأنهم سبق وأن تزوجوا في الموطن الأصلي قبل الانتقال إلى بلدان المهجر. وفيما يتعلق بحالات الدراسة الأربع الذين هاجروا وأسرهم، فقد سبق وأن تزوجوا وأنجبوا خمسة أطفال لمجموع الأسر قبل الهجرة، إضافة إلى أنهم أنجبوا خلال فترة الهجرة طفلاً لكل أسرة.

وفيما يتعلق بالمجتمعات الغربية، فقد عادت حالات الدراسة من ستة

بلدان غربية، حيث عاد ثلاث حالات من المملكة المتحدة، وثلاث حالات أخرى من الولايات المتحدة الأمريكية، وحالتان من إيطاليا، وحالة واحدة من كل من فرنسا وألمانيا.

ثانيًا: الإطار النظري في دراسة العلاقة بين الهجرة العائدة وإعادة تشكيل الثقافة الإنجابية

١- إطار المفاهيم

أ- الهجرة العائدة

تشير **الهجرة العائدة** إلى انتقال الأفراد بالعودة إلى موطنهم الأصلي أو بلد الإقامة، بعد البقاء على الأقل عامًا واحدًا في البلد المضيف، سواء كان نمط العودة إجباريًّا أو اختياريًّا (المنظمة الدولية للهجرة ، ٢٠١٣، ٧٥)، ولا يشترط البعض أن تكون نقطة العودة للموطن الأصلي، وهنا تشير الهجرة العائدة إلى "العودة إلى مكان كان يقيم فيه المهاجر في وقت سابق" (Borgatta & Montgomery ,2013,1431).

من الناحية الإجرائية، سوف تعتمد الدراسة على المهاجرين العائدين من المجتمعات الغربية (البلدان الأوربية، والولايات المتحدة الأمريكية)، سواء أكانوا من الطلاب الدوليين أو العمالة العائدة.

ويقصد بالطالب الدولي ***International Student*** أو المتنقل على الصعيد الدولي "من عبر جسديًّا حدودًا دولية بين بلدين بهدف المشاركة في الأنشطة التعليمية في بلد المقصد"، ويجسد هذا التعريف؛ المهاجرين المقيمين في بلد أجنبي لغرض التعليم منذ العام (٢٠١٥)، لدى منظمتي اليونسكو والتعاون الاقتصادي والتنمية، والمكتب الإحصائي للاتحاد الأوربي ***EUROSTAT***، وعادةً ما تزيد مدة الإقامة عن عام واحد، وتصل إلى سبعة أعوام (IOM,2018,https://migrationdataportal.org/themes/international-students#data-sources).

أما هجرة العمالة فتشير إلى "جميع المهاجرين الدوليين الذين يعملون

حاليًا أو عاطلين عن العمل، ويبحثون عنه في بلد إقامتهم الحالية" (IOM,2018,https://migrationdataportal.org/themes/labour-migration).

تاريخيًّا، مرت الهجرة الدولية المصرية بعدة مراحل، كان من أبرزها الهجرة بشكل دائم إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ودول أوربا الغربية عام (١٩٧١)، رغم خضوع الهجرة لبعض القيود القانونية آنذاك، وعقب ذلك حدثت أكبر دفعة للتدفقات الخارجية بعد اعتماد دستور (١٩٧١)، حيث أُذن بالهجرة "الدائمة" و"المؤقتة" بعد حرب (١٩٧٣)، عندما ارتفعت أسعار النفط وازداد الطلب على العمالة المهاجرة في دول الخليج خاصة لدى المملكة العربية السعودية والعراق (Migration Policy Centre,2013, http://www.migrationpolicycentre.eu/docs/migration_profiles/Egypt.pdf).

ومع بداية منتصف الثمانينيات، اتجهت تيارات الهجرة لدول البترول إلى التناقص، وذلك لانخفاض سعر النفط، واتجاهها إلى إحلال العمالة الوطنية محل العمالة الأجنبية، ومنافسة العمالة الآسيوية للعمالة المصرية. الأمر الذى أدى إلى بزوغ الهجرة العائدة، حيث عاد حوالى (١٧٢٩١٠٠) مواطن خلال الفترة (١٩٧٤ : ١٩٨٧)، كما كان لأزمة الخليج أثر واضح على عودة المصريين من كل من الكويت والعراق، حيث قدر عدد العائدين من الكويت حتى يناير١٩٩١ بنحو (١٥٨٠٦٤) عائدًا، ومن العراق بنحو (٢٣١٨١١) عائدًا، وبإجمالي (٣٨٩٨٧٥) عائدًا لكلا الدولتين خلال تلك الفترة (المركز الديموجرافى ، ٢٠٠٤، ١٢٨).

أما في الفترة المعاصرة، فتتسم تيارات الهجرة الدولية باستمرار تيار الهجرة المؤقتة الموجه صوب البلدان العربية، وكذا تيار الهجرة طويلة الأمد الموجه صوب بلدان أوربا وأمريكا الشمالية (Migration Policy Centre, migration_ docs/ 2013, http://www.migrationpolicycentre.eu/ profiles/Egypt.pdf).

وتشير الإحصاءات الدولية المتاحة للهجرة الخارجية المصرية، أن

إجمالي تصاريح العمل الصادرة للمصريين للعمل بالخارج، عن طريق وزارة الداخلية (أول مرة، تجديد) حوالى (١٣٢٧٥٤٢) تصريحًا لعام (٢٠١٥)، مقابل (١٣١٥٥٥٥) تصريحًا لعام (٢٠١٤) بنسبة زيادة قدرها (٠,٠٩%).

كما يتضح من بيانات الجدول رقم (٢)، أن إجمالي تصاريح العمل الصادرة للمصريين بالخارج (أول مرة) عام (٢٠١٥) قد بلغت (٦١٢٦٤٤)، مقابل (٦١٧٠٤٧) تصريحًا عام (٢٠١٤) وبنسبة انخفاض قدرها (٠,٧%). من جانب آخر بلغ إجمالي تصاريح العمل الصادرة للمصريين بالخارج (تجديد) حوالى (٧١٤٨٩٨) تصريحًا عام (٢٠١٥) مقابل (٦٩٨٥٠٨) تصريح عام (٢٠١٤) بنسبة زيادة قدرها (٢,٣%).

وفيما يتعلق بتصاريح العمل الصادرة للمصريين للعمل بمجموعة الدول الأوروبية، فقد بلغ (٢٥٦٣٥) تصريحًا بنسبة (١,٩%)، من إجمالي تصاريح العمل الصادرة للمصريين للعمل بالخارج، ومن الملفت أن إيطاليا قد جاءت في مقدمة مجموعة الدول الأوربية من حيث عدد تصاريح العمل الصادرة للمصريين للعمل بها بعدد (٢٠٨١٧) تصريحًا وبنسبة قدرها (٨١,٢%)، يليها اليونان بعدد (٣٧٥٢) تصريحًا وبنسبة (١٤,٦%) من إجمالي تصاريح العمل بالدول الأوربية (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، ٢٠١٦، ٣).

جدول رقم (٢)

تطور أعداد تصاريح العمل الصادرة للمصريين للعمل بالخارج طبقًا لمجموعات الدول خلال الفترة (٢٠١١ – ٢٠١٥)

السنوات	الدول الأوربية	الدول الأمريكية	إجمالي التصاريح لجمع البلدان	معدل التغير السنوي (%)
٢٠١١	٢٩١٤١	٣٢٢	١١٢٩١٦٣	--
٢٠١٢	٢٨٣٥٠	٣٠٢	١١٧٦٣٥٨	٤,٢
٢٠١٣	٢٨٨٦٨	٢٤٤	١٢٩٥٦٢٣	١٠,١
٢٠١٤	٢٨٦٩٦	٣٦٩	١٣١٥٥٥٥	١,٥
٢٠١٥	٢٥٦٣٥	٣٩٢	١٣٢٧٥٤٢	٠,٩

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، أغسطس ٢٠١٦.

ووفقًا لنتائج تعداد السكان (٢٠١٧)، فقد بلغ إجمالي عدد المصريين المقيمين في الخارج حتى نهاية العام (٢٠١٦) حوالى (٩٤٧٠٦٧٤) مهاجرًا، ورغم استحواذ المنطقة العربية على النسبة الأعلى، حيث يتواجد بها (٦,٢) مليون، بمقدار (٦٥%) من إجمالي المصريين المقيمين بالخارج، إلا أن البلدان الأوربية يقيم بها نحو (١,٢) مليون مصري، وهو ما يعادل (١٣,٢%) من إجمالي عدد المصريين في الخارج، وفى الترتيب الثالث من التصنيف، حيث يوجد في دول الأمريكتين حوالى (١,٦) مليون، وهو ما يعادل (١٦,٧%) من حجم المهاجرين الدوليين (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، ٢٠١٧).

ب-الثقافة الإنجابية

ظهر التعريف السوسيولوجي للثقافة، ليشير إلى "شكل ومضمون وتأثير الجانب الرمزي للحياة الاجتماعية" (Turner,2013,111)، ولذا فهي تشير إلى عالم معقد، نواجهه في حياتنا اليومية ونتحرك خلاله. حيث تبدأ الثقافة من النقطة التي يتجاوز عندها البشر كل ما اكتسبوه من الطبيعة

بالميراث أي اجتماعيًّا وليس بيولوجيًّا (إدجار، جويك ، ٢٠١٤، ٢٢٩).

وعليه، فالثقافة هي المعتقدات والقيم والمعايير والأيديولوجيات، وكل المنتجات العقلية التي خلفها الإنسان العارف، أو هي "نمط الحياة الكلي لمجتمع ما، والعلاقات التي تربط بين أفراده، وتوجهات هؤلاء الأفراد في حياتهم" (عماد، ٢٠٠٦، ١٠).

وعند التفاعل بين **ثقافة المهاجرين** ***Migrant culture*** (القيم والأفكار والمعتقدات والمعايير التي تعبر عن نتاج الاختلاف الثقافي للمجتمع)، **وثقافة الأصل** ***Original Culture*** (القيم والأفكار والمعتقدات والمعايير التي تمثل نسقًا مستقرًّا قابلاً للتنقل بيسر إلى سياق جديد) (كوش ، ٢٠٠٧، ١٩٥)، ربما تحدث عملية **التثاقف** ***Acculturation***، بوصفها مجموعة الظواهر الناتجة من تفاعل موصول ومباشر بين مجموعة أفراد ذوي ثقافات مختلفة، تؤدي إلى تغيرات في الأنماط الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما (كوش ، ٢٠٠٧، ٩٣)، أو ربما بزوغ **الثقافة المضادة** ***Counterculture***، والتي تشير إلى "القيم والمعتقدات، والاتجاهات لدى أي جماعة أقلية تعارض الثقافة السائدة للمجتمع" (إدجار، جويك ، ٢٠١٤، ٢٤٥).

والثقافة الإنجابية ما هي إلا نمط الحياة أو الممارسات الفردية الناتجة عن تفاعل البنى الثقافية والذهنية، وكذا العلاقات الاجتماعية مع المكونات الثقافية، وبذلك تصبح مفاهيم مثل القيم والمعتقدات، والعادات والتقاليد، والرموز والإشارات، والمنتجات العقلانية الأخرى، ضرورة لا غنى عنها للإحاطة بمحددات ومتغيرات الثقافة الإنجابية، فهي "نتاجٌ معرفيٌّ وقيميٌّ وتاريخيٌّ ينتظم في السلوك الاجتماعي العام" (سليمان ، ٢٠٠٠، ٢٤٨).

إجرائيًّا، تشير ثقافة الإنجاب في الدراسة إلى "مجمل القيم الاجتماعية والعادات والأفكار والموروثات الإنجابية، التي تؤثر في توجيه الأزواج سلبيًّا نحو قضايا الزواج والإنجاب وحجم الأسرة"، ويعبر عنها ضمنيًّا في الدراسة

من خلال "الزواج المبكر، والحرص على ختان الإناث، وعدم استخدام وسائل تنظيم الأسرة قبل الحمل الأول، وعزوف الأزواج عن استخدام الوسائل الخاصة بهم، وتفضيل إنجاب الذكور، وعدم الاكتفاء بطفلين فقط".

٥- التوجه النظري للدراسة

سوف نحاول في هذا الجزء صياغة توجه نظري يهدف إلى تقديم مجموعة من التفسيرات حول الهجرة العائدة، وأهم ملامح الثقافة الإنجابية، وذلك بالتمرد على الاتجاه التقليدي في تبنى النظريات الكلاسيكية للهجرة الدولية، فنظريات الهجرة الدولية تبدو صامتة عند تفسير علاقتها بكثير من القضايا المعاصرة، وقد دفع هذا الأمر "كيلي" ***Keeley*** للقول بإن "الديموجرافيين عليهم أن يقتبسوا نظريات من تخصصات أخرى لتفسير الهجرة الدولية" (Keeley,2000,50)، ولهذا سوف تعتمد الدراسة على مقولات منظور الانتشار الثقافي، والتكيف الاجتماعي، والممارسة لدى "بورديو" ***Bourdieu*** على النحو التالي:

- منظور الانتشار الثقافي

يفسر منظور الانتشار الثقافي ***Cultural Diffusion Perspective*** انخفاض معدلات الخصوبة، بالاستناد إلى الثقافة العلمانية والاتصال، كعوامل تساهم في فهم ممارسات الخصوبة. وبالتالي فإننا لا نستطيع تفسير تراجع الخصوبة المرتفعة بالاستناد ــ على سبيل المثال ــ إلى نظريات التحديث والتصنيع، كما فعلت نظرية التحول الديموجرافى (Ajus,2009,5).

ويرى متبنو منظور الانتشار الثقافي، أن تأثيرات الانتشار في انخفاض معدلات الإنجاب تبدو أكثر وضوحًا من تأثيرات المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، ورغم ذلك ففكرة الانتشار لا تقلل من آثار تلك المتغيرات، بل تعززها، وبالتالي ترتبط عمليات الانتشار ارتباطًا وثيقًا بالقوى الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات. كما الحال في انتشار تحديد النسل بين الطبقات الاجتماعية الأعلى إلى الجماهير، وكذا الأهمية المفترضة للاندماج

الاجتماعي في تسهيل أو عرقلة عملية الانتشار، فضلاً عن تراجع أعداد المواليد الذى بدأ من الطبقات الحضرية العليا ثم انتقل تدريجيًّا إلى المناطق الريفية (Bixby & Casterline,1993,148).

وفى ضوء نظرية الانتشار، يظل المهاجرون على تواصل دائم بأصدقائهم وأقاربهم الذين تُركوا وراءهم قبل عودتهم، بفضل الاتصالات زهيدة الثمن عبر الهاتف والإنترنت، بل إن العديد منهم يعودون بشكل دوري إلى ديارهم بتذاكر سفر منخفضة التكلفة. فالحياة العابرة للحدود القومية، التي أضحت يسيرة بفضل التكنولوجيات الجديدة، تمكِّن المهاجرين العائدين كفاعلين جدد في مجتمعاتهم الأصلية. وبالتالي فهم لا يحولون مدخرات مالية إلى أقاربهم فحسب، بل يقومون أيضًا بنقل قيم ونماذج السلوك أو ما يسمى "بالتحويلات الفكرية" ***Ideational Remittances***.

ونظرًا لأن المهاجرين يُعتبرون في كثير من الأحيان نماذج ناجحة في مجتمعاتهم الأصلية، فإنهم يمكن أن يكونوا فعالين في تمرير القيم والممارسات التي تعرضوا لها في المجتمعات المضيفة إلى الموطن الأصلي، وبالتالي فإن مجتمعات المنشأ ستتكيف وتتبني هذه القيم والممارسات المنتشرة. وبهذه الطريقة ينقل المهاجرون جذور التغيير الديموجرافى إلى غير المهاجرين في بلدان المنشأ (Fargues,2011,595).

ونستنتج من ذلك أن نظرية الانتشار الثقافي تنظر إلى المهاجرين الدوليين كوكلاء يتبنون نشر الحداثة الديموجرافية في مجتمعاتهم الأصلية (Fargues,2007,161-162).

من جانب آخر استند كل من "بونجارتس ووتكنس" ***Watkins & Bongaarts*** لفكرة التفاعل الاجتماعي الناتج عن الانتشار، لتفسير نمط تراجع الخصوبة، حيث تُنظم التفاعلات الاجتماعية عملية انتقال/ انخفاض الخصوبة من خلال ما يلى (Bongaarts & Watkins,2006, 639-682):

- تبادل المعلومات والأفكار.

- التقييم المشترك في السياق المحلي.
- التأثيرات الاجتماعية التي تقيد أو تشجع العمل.
- القنوات العالمية للتفاعل.

حيث تعمل هذه التفاعلات الاجتماعية على المستويات المحلية والقومية والعالمية. وتتداخل للتبادل والتقييم والتأثير الاجتماعي، وتتوسط من خلال المحادثات والملاحظة والاستدلال ووسائل الإعلام والمنتديات والحكومات ومنظمات المجتمع المدني، وكذا من خلال الهجرة الدولية كقناة عالمية للتفاعل.

ويختلف الانتشار عن أنواع التواصل الأخرى، لأنه مدعوم بسلوكيات وأفكار جديدة، ففي منظور الانتشار، يحدث انخفاض الخصوبة من خلال انتشار المواقف والأفكار الجديدة تجاه قيمة وتكلفة الأطفال، والمعرفة والمعلومات المكتسبة عن تنظيم الأسرة (Vitali & Billari,2014,2)، وبالتالي يرى علماء الأنثروبولوجيا أن التغيرات الثقافية التي تحدث في عالم يتحرك فيه الناس، والأفكار، والمنتجات الثقافية، تمثل تغيرات متعددة الأبعاد كخليط، وانصهار، وتزامن، وتهجين. للاتجاهات التي غالبًا لا يمكن التنبؤ بها، والتي تحدث عندما يتلاقى الأشخاص والأفكار والمعتقدات والسلوكيات وتتشابك مع تكوينات ثقافية جديدة (Chavez,,2006,297).

- **نظرية التكيف الاجتماعي**

تحدد نظرية التكيف الاجتماعي ***Social Adaptation theory*** عاملين رئيسين يؤثران في إعادة تشكيل ثقافة الإنجاب وهما: **الموارد، والأعراف الثقافية**. وتتكون الموارد من تكاليف المعيشة والفرص المرتبطة بالمجتمع المتلقي للمهاجرين، كتكلفة الغذاء، وقيود الإقامة، والنساء اللواتي يعملن من أجل توفير الدخل... إلخ، وهذه العوامل لها تأثيرات مباشرة وفورية على الإنجاب وتفضيلاته، لا سيما عندما يتعين على الزوجة القيام بعمل مأجور لدعم أسرتها بدلاً من الاعتماد على دخل الزوج بمفرده.

أما الجانب الثاني من نظرية التكيف، فيتعلق بما يعرف باستيعاب المعايير الثقافية للبلد المتلقي. فالتفاعل مع جماعة الأقران وزملاء العمل وغيرهم في البيئة الجديدة يصوغ المعتقدات والرغبات الفردية، بما في ذلك أفكار ومعايير تتعلق بمعنى الأبوة وقيمة الأطفال. وهذا الاستيعاب للمعايير الثقافية الجديدة، يبين لنا صور التفاعل بين مجتمع المهاجرين والسكان الأصليين ككل (Genereux,2007, 16).

ووفقًا لفرضية التكيف، تؤثر قيم ومعايير البلد المتلقي في المهاجرين، فتؤدى إلى تقارب معدلات خصوبتهم مع تلك الخاصة بالسكان الأصليين بمرور الوقت. وقد حظيت هذه الفرضية بتأييد واسع في الأدبيات، سواء الخاصة بالهجرة الداخلية (الريفية ــ الحضرية) أو الهجرة الدولية. (Beine et al.,2008, 3,4).

وفيما يتعلق بمسألة التكيف لدى المهاجرين الدوليين، فثمة تباينات أشارت إليها الأدبيات الحديثة حول الأثر الإيجابي لنمط الهجرة الخارجية (قسرية/ طوعية) في تراجع الخصوبة وتعزيز مؤشرات الصحة الإنجابية لصالح الأخيرة، فقد كشفت التحليلات أن المهاجرين الطوعيين يكونون أسرع في التكيف مع البيئة الحضرية الجديدة مقارنة بالمهاجرين قسرًا، مما يؤدى إلى ضبط الخصوبة لديهم بشكل ملحوظ (Agadjanian,2018, 114-116).

وبما أن المعايير السلوكية للمهاجرين تميل إلى التلاقي مع تلك الخاصة بالبلدان المضيفة لهم، فليس من المعقول عدم الافتراض أن المهاجرين قد يعملون كقنوات لنقل هذه المعايير، التي تؤثر في سلوك السكان الأصليين في بلدانهم الأصلية، بما في ذلك خصوبتهم. وفي مثل هذه الحالة، يمكن أن نلتمس الأثر الإيجابي المترتب على الهجرة في انخفاض النمو السكاني للمجتمعات الأصلية (Beine et al.,2008, 3,4).

- **نظرية الممارسة**

لم يُهمل باحثو الهجرة نظرية الممارسة وما تتضمنه من أشكال

مختلفة لرأس المال في دراساتهم، وينصب تركيزهم الأساسي في تبنيهم لتلك النظرية حول استكشاف الطرائق التي يعيد بها المهاجرون العائدون ***Migrants Returning*** ممارسات جديدة ينتج عنها اختلاق بيئة محلية، تتحول من خلال التعامل مع الهجرة عبر الوطنية (Kelly & Lusis,2006, 836).

والممارسة الاجتماعية لدى "بورديو" ***Bourdieu*** تعد فعلاً موجهًا من الماضي، أو محصلة خبرات مكتسبة أو موروثة، تتضافر لتقييم الواقع المعيش، وتحديد طبيعة الفعل الملائم في لحظة ما، ولهذا فالفاعل عند "بورديو" شخص يمتلك القدرة على صنع الاختلاف من خلال الخبرات المتراكمة المحملة لديه من رأس المال النوعي (الاجتماعي والثقافي والرمزي والاقتصادي)، وبالتالي تكون لديه القدرة على ممارسة الأفعال المختلفة في إطار بنية محددة (بدوى،٢٠٠٩، ١١-١٢).

ومن المفاهيم المركزية لنظرية الممارسة، "الهابيتوس" ***Habitus*** الذى ينظر إليه "بورديو" كممتلكات للفاعلين الاجتماعيين، والتي تُشَكَّل من خلال الظروف السابقة والحالية (كالتنشئة الأسرية والخبرات التعليمية)، فضلاً عن كونه نظامًا للتخلص من التصورات والقيم والممارسات غير الفاعلة (Nowicka,2015, 11,12).

وتتوالد فكرة الممارسة هنا عند قدرة المهاجرين على توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية بأماكنهم الأصلية، والتأثير على عوالم الحياة الاجتماعية لدى من تركوا وراءهم بشكل كبير. وبالتالي يلعب المهاجرون دورًا في تراكم رؤوس الأموال الثقافية والاجتماعية، وتبادلها، وتحويلها، وتقييمها، في بيئة عابرة للحدود القومية (Kelly & Lusis,2006, 836).

فالمهاجرون الذين يحتفظون بصلات وثيقة مع المجتمع المحلي يبدون قدرًا كبيرًا من الانعكاس الذاتي ***Self-reflexivity*** الذي يعتمد على توجههم المزدوج إلى قيم وتوقعات بلد المنشأ والهجرة.

وقبل العودة الفعلية للمهاجرين، وثق عدد كبير من الأدبيات الطرائق

المتنوعة التي يتواصل بها المهاجرون مع أسرهم وأصدقائهم في بلد المنشأ. حيث يساعد التبادل عبر وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فى مساعدة المهاجرين على التفاعل مع أقاربهم وأصدقائهم في الموطن الأصلي، والمشاركة في الأفكار والمعتقدات والآراء والاحتياجات العاطفية (Nowicka,2015, 22).

من جانب آخر، يجب ألا نغفل أهمية القيم والأفكار والسلوكيات التي يحملها المهاجرون معهم إلى بلد المقصد، وكذا كيفية تطورهم مع الوقت في إطار اجتماعي جديد. الأمر الذى يساعد على فهم التلاقي بين الثقافات المتجسدة في البناءات المعقدة للعلاقات الرمزية (Nowicka,2015, 11).

وقد سبق أن استخلصنا من مقولات نظرية الممارسة، لدراسة حول الهجرة القسرية أن؛ "للمهاجرين الدوليين الهابيتوس الخاص بهم داخل البناء الثقافي للمجتمع، والذي يخلق بطبيعة الحال ممارسات جديدة، إلا أن تبادل صور رأس المال الاجتماعي من خلال الممارسات الاجتماعية، والاستعدادات القابلة للتحول لدى هؤلاء، تؤدى إلى إعادة إنتاج الهابيتوس الخاص بهم، فتُكتسب عادات وقيم وتقاليد وثقافة المجتمع المضيف، وهو الأمر الذي يساهم في إدماج المهاجرين" (هندي، ت ش ٢٠١٩، ١٦).

ج- استخلاصات نظرية موجهة للدراسة الميدانية

- يمكن أن نستلهم من نظرية الانتشار الثقافي، أن العائدين وكلاء لنشر الثقافة الإنجابية الحديثة التي جلبوها معهم من المجتمعات الغربية، ويمكن لهؤلاء نشر تلك الثقافة، حتى تتسع في شكل دوائر لتشمل قطاعات عريضة من الأصدقاء والأقارب والجيران بمجتمع الدراسة، مما يساهم في اكتساب واستيعاب تلك الجماعات لهذه التحويلات الفكرية، والخروج من جمود الثقافة الإنجابية التقليدية التي تؤدى إلى تفاقم المشكلة السكانية.
- يتطلب نشر ونقل الثقافة الجديدة التي جاء بها هؤلاء العائدون، تفاعل

وتواصل ومشاركة مع غيرهم ممن يمتثلون للثقافة الأصلية، وفى حال نجاح العائدين في تداول القيم والمعايير الجديدة، دون مواجهة العراقيل المحتملة للموروثات الثقافية، ربما يؤدى هذا الأمر إلى تشكيل هوية متعددة الثقافات تساهم في إعادة تشكيل ثقافة الإنجاب.

- يمكن أن تهدينا نظرية التكيف، إلى الطريقة التي يكتسب من خلالها قيم وأفكار ومعايير جديدة لدى المهاجرين أثناء فترة الهجرة، فاستيعاب المعايير الجديدة مرهون بالتفاعل مع جماعة الأقران وأصدقاء العمل وغيرهم في البيئة الجديدة، وهو الأمر الذى يحتاج إلى بقاء المهاجرين فترة زمنية كافية لتحقيق عملية التكيف.
- كما يمكن أن نتصور من نظرية الممارسة أن المحصلة النهائية لدى العائدين، تتمثل في إعادة إنتاج الثقافة الإنجابية داخل البناء الاجتماعي لغير المهاجرين، ويتطلب هذا الأمر أن يتشبع هؤلاء العائدون برأس مال نوعى متراكم (اجتماعي وثقافي ورمزي واقتصادي) مع الممتثلين للثقافة الأصلية، ويتاح هذا الأمر من خلال المشاركة والتفاعل الاجتماعي مع الأصدقاء والأقارب والجيران المحيطين داخل المجتمع. مع الوضع في الاعتبار أن من بين العوامل المساعدة لهؤلاء العائدين كفاعلين يعيدون إنتاج البنية، أنهم نماذج يهتدى بها من قبل غير المهاجرين، في قبول التصورات المتراكمة والإدراكات الجديدة والقيم المكتسبة التي حملوها معهم في سياقات عابرة للحدود الوطنية حول ثقافة الإنجاب بجوانبها المختلفة.

٦- مسح الأدبيات السابقة

بعد القيام بمسح التراث البحثي لموضوع الدراسة، توصلنا إلى عدد من الدراسات التي أمكن تصنيفها ــ في ضوء ما تتضمنه من نتائج ذات صلة بموضوعنا ــ إلى محورين رئيسين: يتناول الأول الدراسات المباشرة المتعلقة بالبحث في العلاقة بين الهجرة والثقافة الإنجابية، بينما يعرض

المحور الآخر للدراسات القومية غير المباشرة، التي سلطت نتائجها الضوء على تأثيرات بعض المتغيرات الأخرى في الثقافة الإنجابية للمجتمع المصري، وسَيُعرَض كلا التصنيفين على النحو التالي:

أ- نتائج الدراسات المباشرة

أجرى "فارجيوس" (Fargues, 2007) دراسة لمقارنة علاقة المهاجرين بالتحول الديموجرافى بثلاثة بلدان تابعة للشرق الأوسط (مصر والمغرب وتركيا)، منطلقاً من فرضية أن أولئك الذين يهاجرون إلى بلدان الخليج العربي يتعرضون لقيم وممارسات أكثر تحفظاً بوضع المرأة في الأسرة، والمحددات الاجتماعية للخصوبة، وهو الأمر الذى يؤثر في معدلات الخصوبة ببلدان الأصل. وعلى النقيض من ذلك، فإن أولئك الذين يهاجرون إلى المجتمعات الغربية (أوربا وأمريكا الشمالية) يجدون مجتمعات مضيفة ذات مستويات أدنى من الخصوبة في بلدان المصدر، وهو الأمر الذى ينتج عنه خفض معدلات الخصوبة ببلدان الأصل للمهاجرين.

وقد توصلت الدراسة من خلال تحليل البيانات، إلى أن الهجرة الدولية من مصر والمغرب وتركيا أدت إلى نتائج متباينة وفقاً للبلد الذي يختاره المهاجرون. فقد أدت الهجرة نحو دول الخليج إلى عرقلة قوى التحول الديموجرافي في بلدان الأصل خاصة في مصر، في الوقت الذى أدت فيه الهجرة إلى المجتمعات الغربية إلى تسارع التحول الديموجرافى لدى كل من تركيا والمغرب مقارنة بمصر.

وفى دراسة أخري لنفس الباحث (Fargues,2011,) استهدف تفسير الديناميات السكانية والاتصال المباشر بين الشعوب (العلاقة بين التحول الديموجرافي والهجرة الدولية)، استخلصت نتائجها أن الأفكار التي ينقلها المهاجرون إلى غير المهاجرين من مجتمعهم الأصلي، معرضة للتأثير في الممارسات التي تؤدي إلى تخفيض معدلات الإنجاب في البلدان المصدرة للهجرة، كما استنتج فريق من الباحثين (Beine et al.,2013,) أن الهجرة

الدولية تكون إحدى الآليات التي من خلالها يُمَرَّر التحول الديموجرافي. حيث تطابقت نتائج بحث علاقة الهجرة الدولية بالخصوبة، في فعالية العائدين في نقل معايير خصوبة بلدان المقصد إلى بلدانهم الأصلية، وأكدت على صحة الفرضية التي مؤداها: أن معايير الخصوبة التي يتعرض لها المهاجرون تقلل من خصوبة الموطن الأصلي.

وفى دراسة" هاميلتون وزملائه" (Hamilton et al.,2009) لاستكشاف التباينات الريفية الحضرية في العلاقة بين تجربة الأمهات العائدات من الهجرة الأمريكية ومستويات وفيات الرضع لعينة قومية من الولادات الحديثة في المكسيك. أشارت نتائجها إلى ارتباط الهجرة الدولية بواقعات الوفاة للأطفال الرضع بطرق معقدة إلى حد ما، ويُعَبَّر عن العلاقات بشكل أكثر وضوحًا في المناطق الريفية بالمكسيك، فتجربة هجرة المرأة للولايات المتحدة ترتبط بفرص أقل بوفيات الأطفال، مما قد يعكس تشكيل الوعى الصحي للأمهات العائدات من الهجرة. فضلاً عن الدور الفاعل للتحويلات المالية في تلقى رعاية جيدة وبقاء الأطفال الرضع قيد الحياة.

وفى دراسة "تشوي" (Choi,2014) لتقدير خصوبة الأمريكيين ذوى الأصول المكسيكية، وتوثيق التغيرات التى طرأت على نمط الخصوبة المكسيكية الأمريكية داخل الجيل وعبر الأجيال، أظهرت النتائج أن الهجرة من المكسيك إلى الولايات المتحدة انتقائية بشكل إيجابي فيما يتعلق بخفض معدلات الخصوبة. وأن مستويات الخصوبة بين الأمريكيين المكسيكيين تتناقص داخل الجيل الواحد وعبر الأجيال، نتيجة ابتعاد المهاجرين عن أنماط الخصوبة السائدة قبل الهجرة، واعتمادهم بشكل ملحوظ على محاكاة نمط الخصوبة لدى البيض من ذوى الأصول الأمريكية.

وتوجد دراسة تاريخية "لدودن وزملائه" (Daudin et al.,216)، لتفسير كيفية تأثير الهجرة الداخلية في خفض معدلات الخصوبة للمقاطعات الفرنسية خلال الفترة (١٨٦١ : ١٩١١) بالاعتماد على تحليل البيانات

التاريخية، خاصة وأن الهجرة الداخلية كانت أكثر انتشارًا من الهجرة الدولية خلال تلك الفترة، وقد أسفرت نتائج تلك الدراسة عن أن تيارات الهجرة الداخلية التي حدثت عقب تشييد خطوط السكك الحديدية من العاصمة باريس وإليها، أدت إلى انخفاض معدلات المواليد، من خلال نشر قيم ومعايير الخصوبة المنخفضة خاصة من قبل المهاجرين من العاصمة الفرنسية وإليها، حيث نقل المهاجرون المعلومات والمعارف المرتبطة بانخفاض الخصوبة إلى محل إقامتهم، وبالتالي أكدت الدراسة أن نقل الثقافة عن طريق الهجرة نتج عنه تقارب معدلات الخصوبة في العديد من المقاطعات الفرنسية خلال تلك الفترة الزمنية.

وقد اعتمدت دراسة "ليندستروم وسوسيدو" (Lindstrom & Saucedo,2007) لعينة من الأزواج لوصف العلاقة المتبادلة بين الهجرة والخصوبة الزواجية، باستخدام عينة ثنائية القومية، جُمِعَت في مجتمعات مكسيكية ومناطق الوجهة الأمريكية على عدة تساؤلات أهمها: كيف تؤثر حالة الهجرة الحالية وتجربة الهجرة التراكمية على احتمالات الولادة؟ وقد تبين من النتائج أن الهجرة تؤدي إلى استجابات تكيفية قد لا يتوقعها المهاجرون أنفسهم. حيث تؤثر تجربة الانتقال من بيئات الخصوبة المرتفعة في سلوك الخصوبة على المدى القريب، من خلال تكاليف وقيود الحياة الحضرية، وكذا على المدى الأطول، حيث يواجه الأزواج تحديًا في أهداف حجم الأسرة، وكيف يفكرون حول المتطلبات المالية والوقت اللازم لإنجاب الأطفال.

وقد بحثت ورقة عمل لكل من "موسينو وستروزا" (Mussino&Strozza,2012) عن مخاطر إنجاب طفل أول في إيطاليا للنساء المهاجرات من أصول ألبانية ومغربية ورومانية، كأكبر ثلاث مجموعات من المهاجرات إلى إيطاليا في الفترة من (٢٠٠٣ : ٢٠٠٦)، وفهم السبب في أن اتجاه معدل الخصوبة الإجمالي للنساء الأجنبيات أخذ في التراجع ببطء. حيث

استنتجت الدراسة وجود تباينات في نمط الخصوبة، عند أخذ نموذج الهجرة والتكيف مع البيئة الجديدة في الحسبان، وأن من بين الأسباب التي أدت إلى اتجاه معدل الخصوبة الإجمالي لهؤلاء السيدات إلى التراجع؛ أن النساء اللاتي يأتين للعمل يكن في حاجة إلى مزيد من الوقت للتكيف، واتخاذ القرار تجاه مسألة الإنجاب في البلد المتلقي.

وفي ورقة بحثية لـــ (محى الدين،١٩٩٩) لمحاولة توصيف إطار تحليلي للهجرات العابرة للقوميات، التي من خلالها يصوغ المهاجرون سياقات اجتماعية تربط بين البلدان التي نشأوا فيها وتلك التي استقروا بها، استنتجت الورقة أن المهاجرين العابرين للقوميات يعيشون حياة معقدة تجبرهم على اللجوء إلى صياغة هويات مختلفة بالاستناد إلى متغيرات الطبقة، والقومية، والعرق، والنوع، فضلاً عن أن الظروف المحيطة بهم تضطرهم إلى إعادة تشكيل مفاهيم الثقافة والمجتمع.

كما أجري (منصور، ٢٠٠٢) دراسة للتعرف إلى تأثيرات الهجرة على أفراد الأسرة والمجتمع بالاعتماد على دراسة الحالة والملاحظة بالمعايشة شبه التامة لأسرتين من أسر المهاجرين المصريين بالولايات المتحدة طوال فترة إقامة الباحث بالبلد المتلقي، وقد تبين من نتائجها أن الهجرات الدولية تتيح الفرصة للمهاجرين بالاحتكاك الثقافي، والتكيف المبنى على شبكة العلاقات الاجتماعية، وبالتالي اكتساب ثقافة المجتمعات التي استقروا بها.

ب-نتائج الدراسات غير المباشرة

أجرى (عبد الرسول، ١٩٩٤) دراسة للكشف عن القيم والاتجاهات المتعلقة بالسلوك الإنجابي لدى عينة حضرية وأخرى ريفية بمحافظة المنيا بصعيد مصر، تبين من نتائجها أن هناك علاقة إيجابية بين القيم والاتجاهات المتعلقة بالسلوك الإنجابي، وزيادة حجم الأسرة في المجتمع الريفي بصورة أكبر من المجتمع الحضري، وقد اختصت الدراسة قيم الزواج المبكر،

والقيمة الاقتصادية للطفل، وتفضيل إنجاب الذكور بعدها القيم المؤثرة في العملية الإنجابية لمجتمع الدراسة.

وفى دراسة (السيد، ٢٠٠٢) للتعرف إلى العادات المرتبطة بالزواج والإنجاب وعلاقتهما بتنظيم الأسرة في ريف محافظة الدقهلية، تبين من نتائجها؛ أن القيم الاجتماعية والثقافية بالقرية تؤدى إلى تفاقم المشكلة السكانية، وأن هناك الكثير من العوامل التي تؤثر في اتجاهات المبحوثين نحو تنظيم الأسرة، أهمها مدى وجود طفل ذكر داخل الأسرة.

وقد أجرت كل من (الفوال، حليم، ٢٠٠٨) دراسة لرصد مكونات الثقافية الإنجابية ببعض محافظات الوجه البحري والقبلي، لدى شريحة من الشباب المتزوجين والمقبلين على الزواج، سعيًا نحو الكشف عن منظومة القيم والأفكار والتصورات التي تسهم في تشكيل فكر الشباب حول قضية الإنجاب ومحددات هذا الفكر والعوامل الفاعلة فيه، وقد أشارت نتائجها إلى العديد من المؤشرات التي تعبر عن وجود اتجاه إيجابي لدى الشباب نحو الأفكار والتصورات البناءة التي تعكس رؤية ناضجة ــ إلى حد ماــ لأهمية تبنى مفهوم الأسرة الصغيرة، فضلاً عن رفض فكرة الزواج المبكر، وكذا الاتجاه نحو تبنى ثقافة المساواة بين الأبناء من الجنسين. وعدم تحريم وسائل تنظيم الأسرة سوى من قلة ما زالت تعتقد في تحريم الدين لهذه الوسائل وأغلبهم من الذكور الأميين.

وفى دراسة (العجمى ، ٢٠١١) للتعرف إلي سلوك الأزواج المرتبط بتنظيم الأسرة من خلال معارفهم واتجاهاتهم وممارساتهم، في ظل انتشار ثقافة التبعية وسياده النزعة الفردية لاتخاذ القرارات الأسرية من جانب الأزواج، وكذا القيم والتقاليد التي تشجع علي الإنجاب، أظهرت نتائجها أن غالبية الأزواج (ثلثي العينة) يتصفون بأن سلوكهم الإنجابي غير رشيد خاصة نحو تنظيم الأسرة، فضلاً عن تدنى المعارف الخاصة بها.

وقد أجرى فريق بحثى (مصباح وآخرون ، ٢٠١٢) دراسة استهدفت

تحليل السلوك الإنجابي للمرأة الريفية بعدة ثقافات فرعية في ريف مركز مطوبس بمحافظة كفر الشيخ، والتعرف علي أهم المتغيرات المرتبطة والمحددة لها، وأسفرت نتائجها عن أن هناك اختلافات جوهرية في مستويات الخصوبة البشرية للمرأة الريفية تبعًا للثقافات الفرعية موضع الدراسة، واتضح أن المتغيرات المؤثرة عليها تتباين بتباين الثقافات، ويحددها توليفات مختلفة من مجموعة متفاعلة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والاتصالية، منها الرغبة في إنجاب المزيد من الأطفال، وقيمة الأطفال الذكور، واستخدام وسائل تنظيم الأسرة، وعدد ساعات التعرض لوسائل الإعلام، ومستوى المعيشة.

وقد أجرى (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ٢٠١٤) دراسة لبحث تطور تأثير القيم السكانية في الممارسات والسلوكيات الإنجابية والسكانية للأفراد؛ مثل أنماط الزواج واستقراره، ومستويات الإنجاب وتفضيلاته، واستخدام وسائل تنظيم الأسرة، لعينة ممثلة لجميع محافظات الجمهورية بالريف والحضر، وأشارت نتائجها إلى أن القيم السكانية ما زالت مترسخة في المجتمع المصري، وتعد عائقًا لخفض النمو السكانى والاكتفاء بطفلين، وأن من أهم تلك القيم تفضيل إنجاب الذكور، والزواج المبكر، والحمل المبكر، والاعتقاد الخاطئ بضرورة ختان الإناث كما الذكور، وعزوف الأزواج عن استخدام وسائل تنظيم الأسرة الخاصة بهم.

وفى دراسة (جمعة ، ٢٠١٥) للكشف عن طبيعة العلاقة بين السلوك الإنجابي ومقومات البنية العمرانية وأساليب الحياة والعيش في المناطق العشوائية بمدينة السويس، وخصائص السكان الاجتماعية والثقافية، انتهت الدراسة بعدة نتائج أبرزها أن انخفاض السن عند الزواج، وتعدد فرص الحمل والإنجاب المبكر والمتكرر، إحدى السمات الثقافية للسلوك الإنجابي للمناطق العشوائية.

بينما استهدفت دراسة (على ، ٢٠١٦) التعرف إلى أبعاد الصحة

الإنجابية لعينة من المبحوثات بمحافظة الوادي الجديد، والتعرف علي أهم المشكلات التي تواجههم في تشكيل الوعي الإنجابي لديهن، وقد تلخصت أهم نتائجها في أن القيم والمعايير الاجتماعية السلبية تعد عائقاً في تشكيل وعى السيدات بصحتهن الإنجابية، ومن بينها رغبة الأزواج في إنجاب الذكور، وانتشار المفاهيم الخاطئة حول تحريم استخدام وسائل تنظيم الأسرة.

وبالنظر إلى التراث البحثي يمكن استخلاص ما يلى:

من العرض السابق للدراسات المباشرة لموضوعنا، تبين أن غالبية هذه الدراسات أجنبية، وقد أشارت هذه الدراسات في أغلب نتائجها إلى أن عودة المهاجرين تمثل قناة عابرة للحدود القومية، تنتشر من خلالها القيم والعادات والمعايير الجديدة المتعلقة بالخصوبة، وبالتالي فإن تدفقات الهجرة يمكن أن تسرع أو تبطئ عملية التحول الديموجرافي في البلدان النامية المرسلة للمهاجرين، وهذا الأمر مرهون بالطبع بالحالة الديموجرافية لبلدان المقصد. وعلى هذا الأساس نتوقع أن العائدين من مجتمعات منخفضة الخصوبة كالمجتمعات الغربية، قد يساهمون في إعادة تشكيل ثقافة الإنجاب نحو انخفاض معدلاتها.

كما كشفت تلك الأدبيات عن الغياب الواضح لتحليل الثقافة الإنجابية من خلال بيانات متعمقة، والاعتماد على منهجيات التحليل الكيفي (دراسة الحالة والمقابلات المتعمقة)، الأمر الذى يبين أهمية الدراسة في الكشف عن أوجه تلك الثقافة ومضامينها بمجتمع الدراسة من جانب، والكشف عن إسهامات العائدين من مجتمعات غربية منخفضة الخصوبة في إعادة تشكيلها من جانب آخر.

كما نود التأكيد على الكم الهائل ــ الذى لا يمكن حصره في الدراسة الحاليةــ من التراث البحثي غير المباشر، ذات الصلة بالثقافة الإنجابية والسلوك الإنجابي والمحددات الاجتماعية والاقتصادية للخصوبة (كالتعليم، والدخل، والمهنة، والتمكين، والإقامة، والتصنيع، والحراك... إلخ)، إلا أننا

حرصنا على عرض نتائج الأدبيات المعاصرة التي تمس أحد جوانب ثقافة الإنجاب، وما تتضمنه من قيم وعادات وممارسات تحفز على زيادة الإنجاب، وقد تبين لنا أن مضامين ثقافة الإنجاب (القيم والاتجاهات والعادات والمعايير والأفكار والموروثات)؛ تعد المحرك الرئيس تجاه قضايا الأسرة والزواج والإنجاب، فلا يزال الزواج المبكر، والحرص على إنجاب طفل ذكر، وممارسات ختان الإناث، والحمل والإنجاب المبكر، وعدم الاكتفاء بطفلين بمثابة الحزمة الثقافية ***Cultural package*** التي تشكل المرجعية الفكرية لدى قطاع عريض من السكان.

أخيرًا، يلاحظ على جميع الدراسات غير المباشرة الخاصة بثقافة الإنجاب خوائها من تدعيم منظومة قيمية إيجابية جديدة مضادة للثقافة التقليدية، يكون مصدرها المهاجرين العائدين، كنماذج يهتدى بها في نقل ونشر إيجابيات الثقافة الجديدة وعوائدها بما يتلائم وظروف المجتمع، وهو الأمر الذى يساهم في الخروج بالكثير من العراقيل التي تواجه الأسرة المصرية تجاه قضايا الأسرة والزواج والإنجاب وتفضيلاته، وهو ما ستحاول دراستنا استكشافه.

ثالثًا: مناقشة وتفسير الإطار الميداني للدراسة

١- توصيف ثقافة الإنجاب في الموطن الأصلي، وتصورات حالات الدراسة قبل الهجرة

أ- الزواج المبكر للإناث

بتقصي واقع ثقافة الإنجاب المتداولة بمجتمع حالات الدراسة، من خلال الشواهد التي لاحظوها، والمواقف التي تعايشوا معها في الحياة، وما ينبعث منها من قيم وعادات وتقاليد ذات صلة، واستكشاف ذلك الجانب من الحياة، في ضوء سياقها الثقافي والبنية الاجتماعية التي توالدت فيها، تبين من التحليلات المتعمقة عن قيمة الزواج المبكر والاختيار للزواج لدى الإناث، أن الزواج المبكر يقترن بانتهاء مرحلة التعليم الثانوي، خاصة لدى الملتحقات

بمدارس التعليم الفني الصناعي والزراعي والتجاري، وكذا الحال بالنسبة للذكور. فبمجرد انتهاء المرحلة المتوسطة من التعليم، يبدأ الشباب في العمل لبضعة أشهر لأجل الزواج، وغالبًا ما يواجهون إلحاحًا من آبائهم وأقاربهم للتزوج، وأن ما يؤجل بعض الشباب من الشروع فيه هو انتظار الموقف من أداء الخدمة العسكرية.

فضلاً عن ذلك، فإن عملية الزواج عادة ما تكون اتحادًا وتوافقًا بين عائلتين وليس فردين (الفتى والفتاة)، فلا يوجد تعارف أو تشاور بفترة كافية لكلا الطرفين قبل هذا الاتفاق بين العائلتين. ويعد هذا الأمر في حد ذاته عائقًا لدى الفتيات لممارسة حقهن في اختيار شريك الحياة.

ومن الشواهد التي ذكرتها حالات الدراسة ذوو الأصول الريفية، عن الزواج المبكر؛ الزواج قبل بلوغ سن الثامنة عشر، أي قبل بلوغ السن القانونية لزواج الفتاة، وأن الفتيات اللاتي يتزوجن في هذه الأعمار الصغيرة يكتب لهن وثيقة عرفية تعد بمثابة عقد بين العائلتين، وبالتنسيق مع المأذون الشرعي لحين بلوغ الفتاة السن القانونية واستخراج قسيمة الزواج الرسمية بالتحايل على القانون.

ورغم أن حالات الدراسة لم تتزوج بسن مبكرة، نظرًا للظروف العلمية والعملية الخاصة بهم، إلا أنهم أقروا بقيمة الزواج المبكر وتجذرها بين جنبات مجتمع الدراسة، ووجود الكثير من الشواهد التي تدلل عليها، بل إن بعض الحالات أكدت أن من بين أقاربهم وجيرانهم الفتيات، من تزوجن مبكرًا وأعمارهن لم تتجاوز التاسعة عشر عامًا، وأنهم قد سبق وأن حضروا حفل زفاف أو عقد قران بعضهن بدعوة من أقاربهم وجيرانهم.

ويضيف البعض أن الغالبية من الفتيات اللاتي يتزوجن في أعمار مبكرة، لا يكون لديهن علم بمخاطر الزواج المبكر، سواء على حالتها الصحية كضعف بنية الجسم، أو صحة مولودها الذى قد يتعرض لأمراض النحافة أو النمو.

ورغم أن هناك اتجاهًا ملحوظًا لتأخر سن الزواج بالمجتمع المصري، إلا أنه مرهون بالعديد من الخصائص أهمها الإقامة والحالة التعليمية، وبالتالي فإننا لا نتعجب عندما نرى الظاهرة النقيض (الزواج المبكر) في صعيد مصر، حيث المستويات الأدنى في الكثير من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وفى هذا الصدد تؤكد الحالة (الخامسة) من حالات الدراسة أن الفتاة التي تتخطى سن العشرين دون خطبة أو زواج تكون عانسًا، أو كما قال "فاتها القطر" خاصة إذا كانت قد انتهت من تعليمها، وبالتالي تبدأ الأسرة في البحث عن أي فرصة لتزويجها، وربما ينتهى الأمر بزواج الأقارب، وهذه العادة معروفة خاصة لدى ريف الوجه القبلي، فالثقافة الشعبية المتداولة لدى البعض في هذا الأمر، أن زواج المرأة خارج العائلة يؤدى إلى نقل أموال أهلها إلى الغير من خلال الإرث.

ديموجرافيًّا، يعد الزواج المبكر سواء كان خارجيًّا أو من الأقارب، قيمة سلبية نظرًا لآثارها السلبية من نواح كثيرة، أهمها اتساع مدى السنوات لإنجاب عدد أكبر من الأطفال، فضلاً عن المخاطر الصحية التي ربما يتعرض لها الأبناء فتؤدى إلى وفيات الأطفال الرضع، وكذا الأمهات.

وإجمالاً، يمكن أن نستخلص مما قيل عن الزواج المبكر، أنه يمثل مشكلة اجتماعية، لا يقتصر أثرها في الجوانب الديموجرافية؛ كمعدلات الإنجاب الكلى، بل إن صغر سن الفتاة عند الزواج قد يعرضها لكثير من المخاطر الصحية، التي تصاحب الحمل، وفي مقدمتها العقم الثانوي بعد ذلك الحمل، ووفيات الأجنة والأمهات، فضلاً عن أن تدني الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للفتيات، تسهم أيضًا بدورها في ثبات المعدلات الإنجابية المرتفعة على ما هو عليه، فالزواج المبكر له صلة وثيقة بانخفاض معدلات الالتحاق المدرسي، كما يتلازم ذلك مع انخفاض المكانة الاجتماعية، والمشاركة الاقتصادية للمرأة، وضعف مساهمتها في سوق العمل.

ب-ختان الإناث وممارساته

ظاهرة ختان الإناث من بين الظواهر المتجذرة في أعماق المجتمع المصري، وقد ترسخت هذه الظاهرة في المجتمع، وأصبحت ملمحًا من مأثوراته، لدرجة امتزج فيها العرف والعادات والتقاليد بالدين والمعتقدات، حتى إن البعض يظن أن المساس بهذه العادة يعد خطأ يعاقب عليه المجتمع، وربما يصل إلى حد المخالفة لتعليمات الدين.

ومن هنا تبدو صعوبة محو هذا التقليد خاصة في المجتمعات الصعيدية المعروفة بالنزعة الدينية القوية.

وتؤكد جميع حالات الدراسة، أن عادة ختان الإناث ما زالت مترسخة في مجتمع الدراسة، ضاربة بجذورها في أغلب الأسر الصعيدية، وأن أغلب الحُجج التي يسقطها أولياء الأمور في هذا الشأن، أن الختان يتم للطفلة كما حدث في السابق لأيٍّ من أخواتها أو أقاربها سواء من أبناء عمومتها أو غيرهن دون تفكير أو تمعن في الأمر، أو حتى استشارة الفتاة نفسها.

وتضيف العينة، أنه لم يكن هناك مجال للنقاش في مثل هذه الممارسات حتى فترة قريبة، فسطوة الموروث الثقافي إلى جانب تعليمات الدين تقتضى فعلها في صمت وسكينة، فضلاً عن الممارسات البدائية التي تلاشت في الفترة المعاصرة، فقد ذكر البعض أن القابلة (الداية) هي التي كانت تقوم بعملية الختان منذ عقود، ولكن تطور الأمر حتى تدخل الأطباء في هذه الممارسات، ولكن في تستر تام، وبدعوة أن الطبيب يقوم بعملية (الخفاض) لا الختان.

الجدير بالإشارة أن جميع حالات الدراسة قد أكدوا حدوث تلك العادة في محيط أسرهم ممن لديهم أخوات من الإناث في الماضي، وكأنه أمرٌ مقضيٌّ، رغم أنهم يرفضون إجراء هذه العادة لفتياتهم سواء لمن أنجب أنثى بالفعل، أو لمن يحتمل أن ينجب أنثى في المستقبل، بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية والفتاوى الدينية مخاطرة الصحية والإنجابية والنفسية... إلخ. فضلاً

عن أنهم يلاحظون تغيرًا تدريجيًّا في اتجاه تراجع ظاهرة ختان الإناث بصفة عامة على المستوى المجتمعي، ورغم ذلك نود التنويه إلى أن هذا التراجع يحدث ببطءٍ ملحوظ، ونذكر بأن نسبة الختان للإناث في الفئة العمرية (١٩:٠) تصل إلى (١٨,٥%) عام (٢٠١٧) بمجتمع الدراسة، وهى نسبة مرتفعة تشير إلى ختان ما يقترب من الربع لكل مئة أنثى، وذلك وفقًا للمؤشرات الإحصائية السابق الإشارة إليها.

وتذكر الحالة (التاسعة) من الدراسة أن كون الثقافة الريفية ذكورية في كثير من جوانبها، فإن للذكور (الآباء) دورًا فاعلاً في اتخاذ القرار في هذا الشأن، فهي عفه لبناتهن، ولا مجال للإناث (الأمهات) في مثل هذه القضايا سوى الموافقة والتأييد، بل إنها تتحدد بالتنسيق مع بعض الأقارب أو الجيران لموعدٍ يتم فيه ختان الفتيات اللاتي تتقارب أعمارهن معًا.

بالوصول إلى هذه النقطة، يمكننا أن نصف ختان الإناث بأنه من المورثات الثقافية المسكوت عليها، دون القناعة التامة بوجود تفسير عقلاني لأسباب انتشار هذه الظاهرة وطغيانها في المجتمع، وتأثيرها الشديد في وجدان الناس ومشاعرهم وممارساتهم إلى النقطة التي أعمت الناس عن إدراك أبعاد هذه العادة ومخاطرها وانعكاساتها السلبية.

ت- الإنجاب المباشر للزواج (عدم استخدام وسائل تنظيم الأسرة قبل إنجاب الطفل الأول)

بتقصي آراء حالات الدراسة تجاه توقيت تنظيم الأسرة لمن تزوجوا قبل الهجرة، تبين أنهم وأسرهم لم يستخدموا وسائل تنظيم الأسرة عقب الزواج مباشرة أو قبل إنجاب الطفل الأول، فاستخدام وسائل تنظيم الأسرة في هذا التوقيت من الحياة الزواجية، سواء من جانب الزوج أو الزوجة يعد أمرًا خارجًا عن العادات والتقاليد المعروفة، بل وربما يثير المشكلات والشكوك تجاه نوايا استكمال الحياة الزوجية. بل إن كلا الزوجين على حد ــ وصف مفردات العينة ــ يكونان حريصين على الإنجاب المباشر للزواج

بالحمل المبكر، بل إن التشهير بحدوث الحمل الأول لدى كلا العائلتين (عائلة الزوج والزوجة) يجلب لهم السعادة والتفاخر، وكذا بالنسبة للزوجين.

وفى هذا الصدد، تقول الحالة الأولى من الحالات التي تزوجت قبل الهجرة: إن الحمل الأول كان بمثابة إثبات للفحولة لديه، وكذا بالنسبة للإناث فهو دليل على خصوبة المرأة وقدرتها على الإنجاب. وتذكر حالة أخرى مغايرة، أنه بمجرد التأخير عن حدوث الحمل الأول ببضعة أشهر من الزواج، بدأ يتلقى تساؤلات يومية من الأقارب والأصدقاء وكأنه مطلبٌ جماعيٌّ.

وبالتالي فإننا نستطيع القول: إن قيمة الإنجاب المباشر عقب الزواج من القيم الثقافية التي أجمعت عليها حالات الدراسة المتزوجة قبل الهجرة، بل إنهم مارسوها تلقائيًّا عقب الزواج حسب ما تقتضيه ثقافة الإنجاب.

ويعتقد أن الإنجاب المباشر من الناحية الديموجرافية يزيد من متوسط حجم الأسرة، وكذا اتساع الفترة الزمنية التي يمكن من خلالها إنجاب أطفال آخرين، كما أن بقاء الطفل الأول وحيدًا أو بمفرده دون مولود آخر، ربما يشجع كلا الوالدين على إنجاب (أخ/أخت) له كنوع من المساندة الأسرية والمؤاخاة للطفل الأول، وبالتالي يؤجل من استخدم وسائل تنظيم الأسرة لا عقب الزواج، ولكن بعد إنجاب الطفل الأول.

وربما يترتب على هذا، ضيق الفترات الفاصلة بين الولادات وما يترتب عليها من مساوئ أخرى تتعلق بصحة الأم وأبنائها.

الجدير بالذكر، أن العمالة العائدة بعينة الدراسة قد أكدت ليس فقط على الإنجاب المباشر للزواج، وإنما مؤاخاة المولود بطفل ثان في فترة وجيزة. وفى ذلك تذكر الحالة الأولى للدراسة، "عقب الزواج رزقنا بالمولود الأول (أنثى) وبالطبع كانت تقضى وقتها بمفردها، وبعد مضى عام وثلاثة شهور على مولدها قال لي المقربون من الأقارب والأصدقاء داخل الكنيسة: "ما تخاوى البنت على الأقل تلاقى ليها ونيس ويتربوا مع بعض كأنهم توأم".

وعند السؤال عن استخدام وسائل تنظيم الأسرة الخاصة بالرجال لحالات الدراسة الذين سبق وأن تزوجوا قبل الهجرة، فقد أكد جميعهم عدم استخدام الوسيلة العازلة والمعروفة لدى الرجال خلال تلك الفترة، وقد تبين من استجابات عينة الدراسة، هذا الأمر وكأنه أمرٌ يخص الزوجات فقط، وأن الرجال لا يستخدمون وسائل تنظيم الأسرة.

وقد ذُكرت ادعاءات كثيرة في هذا الشأن حول المخاطر المحتملة لاستخدام الواقي الذكرى ***Condom***، وأن الوسائل الأخرى الخاصة بالزوجات تكون أكثر أماناً. ومن ناحية أخرى ربما تكون العادات والتقاليد والقيم عائقًا لتداول مثل هذه الوسائل الخاصة بالرجال أو حتى البوح باستخدامها من عدمه.

ويمكن أن نستخلص من ذلك أن الرافضين لاستخدام وسائل تخص الرجال آنذاك، أنه لم تتوافر لديهم معرفة بأنه في حالات محددة يستوجب الأمر استخدام الرجل للوسائل، حفاظًا على صحة الزوجة التي قد لا تتمكن صحيًّا من استخدام وسائل تنظيم الأسرة.

كما أن ثقافة المحيطين بالأزواج الجدد سواء الوالدين أو الأقارب أو الجيران، تضغط على الزوجين لسرعة الإنجاب فور الزواج، دون تهيئتهم لمفهوم المسئولية الوالدية، أو حتى التأكد من الاستعداد النفسي والبدني لدى الزوجة لإنجاب طفل سليم، وكذا الزوج لتوفير احتياجات الأسرة وإدارة شئونها، أو حتى إعطائهم فسحة من الوقت للتأكد من قدرة هذا الحدث (الزواج) على الاستمرار.

ث-تفضيل إنجاب الذكور

تفضيل إنجاب الذكور لدى أرباب الأسر، نابع من ثقافة إنجابية يصعب التخلص منها، لأن الوالد يريد رؤية صورته في ابنه، ويطمح إلى تحقيق أشياء كثيرة من خلاله، ربما يكون قد عجز هو عن تحقيقها في الماضي، بهذا المعنى يبرر بعض حالات الدراسة الأسباب الكامنة وراء تفضيل إنجاب

الذكور بمجتمع الدراسة، ولهذا يمكن أن نستدل على وجود نظرة تقليدية تجاه إنجاب الإناث.

من جانب آخر، تعترف جميع حالات الدراسة بتفضيل إنجاب طفل ذكر على الأقل، وهذا نابع لديهم منذ أن كانوا عزابًا، وحتى بداية الحياة الزوجية خاصة من تزوجوا قبل الهجرة، بل إن حالات الدراسة من العمالة العائدة يرون أن التأخر في إنجاب طفل ذكر، يؤدى بالأب للعمل لسنوات أكثر قد تتجاوز الستين لطالما أن الابن حديث السن ولا يستطيع أن يسانده من الناحية الاقتصادية، مضيفًا أن الابن عندما يكبر يصبح صديقًا للأب، ويمكن الاعتماد عليه في كثير من الأمور الحياتية، وهو ما لا يحدث في حالة الابنة التي تنشغل ببيتها وأولادها وتترك البيت عندما تتزوج.

وفى مجمل المقابلات، جاءت الكثير من العبارات التي تؤكد أن جميع مفردات العينة بلا استثناء يفضلون إنجاب الذكور قبل قرار الهجرة، ومن المبررات التي ذكرت في هذا الصدد، الاعتقاد بالآتي:

- الولد هيشيل أسمى بعد ما أموت.
- الولد هيراعى أمه وأخواته من بعدى لو حصلت لي حاجه.
- الولد يقدر يطلع ويشتغل ويسند في حاجات كتيره.

ومن الملفت للانتباه، أن الأزواج من عينة الدراسة قد أقروا بحرص زوجاتهم بذات القدر على إنجاب طفل ذكر على الأقل، وبالتالي فإن القيمة لا ترتبط بالأزواج فقط. ونستلهم من ذلك إن مسألة تحديد حجم الأسرة لدى كلا الزوجين يكون مفتوحًا (قابلاً للزيادة) طالما أن الأسرة لم تنجب طفلاً واحدًا ذكرًا على الأقل. وهو الأمر الذى يؤثر بالطبع في متوسط حجم الأسرة للمجتمع ككل، وكذا معدل النمو السكانى.

وفى ذلك تقول حالة من حالات الدراسة: "أتحداك إذا وجدت أحدًا من الأزواج أو حتى مقبلاً على الزواج، ويقول لك إنه لا يرغب في إنجاب طفل ذكر على الأقل.. وإن قال غير ذلك فهو غير صادق".

ويؤيد آخر من ذوى العمالة العائدة أنه لا يجد غُصة من إنجاب الفتيات، ولكن لا يعنى هذا عدم حرصه على إنجاب طفل ذكر، بينما يؤكد ثالث بالقول: "أن خلفة الولاد بتكون سبب في فرحة الأسرة والعيلة كلها، والعكس لو كانت خلفة بنات ممكن تعمل مشاكل.. وممكن الموضوع يخلَّى الزوج يتجوز مره تانيه".

كما يبرر البعض من حالات الدراسة، أن الذكور لا تحمل باقي الأسرة العبء كما الإناث في كثير من متطلبات الحياة، فالإناث يحتجن إلى رعاية خاصة ومتابعة لسلوكياتهن لتجنب حدوث أية مشكلات اجتماعية.

ومن التقاليد الحديثة التي ذكرتها لنا حالات الدراسة، أنه عقب الذهاب بالزوجة إلى العيادة الطبية وإجراء الكشف الطبي بالأشعة التلفزيونية "السونار"، والتي يتحدد من خلالها نوع الجنين بعد مضى أربعة أشهر من الحمل، فإنه إذا أخطر الطبيب الزوجين بأن نوع الجنين ذكر، كان هذا الأمر بمثابة سعادة واحتفال لهما، وباقي أعضاء العائلة (آباء وأمهات الأزواج)، كما أن الغالبية منهم ينصحون بعدم البوح بهذا الخبر السار لحين ولادة الأم حتى لا تصاب وجنينها بمكروه كالحسد أو الحقد من الآخرين، وعلى العكس تمامًا إن كان الخبر عن نوع الجنين أنثى.

ونستطيع أن نستنتج مما سبق، أن الثقافة الإنجابية بما تحويه من عادات وتقاليد وقيم واتجاهات تشجع على إنجاب الذكور، وأن هذه القيمة ما زالت متأصله في النفوس، وهى التي تحكم السلوك الإنجابي وتفضيلات الإنجاب لدى الأفراد بمجتمع الدراسة.

ج- عدم الاكتفاء بطفلين

وفيما يتعلق بتصورات حالات لدراسة قبل الهجرة حول ثقافة الاكتفاء بطفلين فقط بغض النظر عن نوعهما، فقد أكدت المناقشات بالإجماع أن عينة الدراسة كانوا يتصورون أن الحجم الأمثل للأسرة يتكون من ثلاثة أطفال، وهو ما يعنى عدم الاكتفاء بطفلين فيما يتعلق بتفضيلاتهم نحو الإنجاب وحجم

الأسرة، من ناحية أخرى فإن الإنجاب الفعلي (السلوك الإنجابي) لحالات الدراسة يبين أن سبع حالات لم يكتفوا بإنجاب طفلين فقط، حيث يزيد عدد المواليد أحياء عن اثنين لكل حالة، بينما يؤيد ثلاث عينات فقط من عينة الدراسة فكرة الاكتفاء بطفلين، فهم من الناحية الفعلية لديهم طفلان اثنان فقط، ولا يوجد لهم نية في إنجاب طفل ثالث في المستقبل، ويرون أن هذا القرار سيكون له فوائد كثيرة بالنسبة لهم ولأبنائهم كالحالة الصحية والتعليمية ومختلف أوجه الرعاية التي يمكن أن تقدم لهم.

كما كشفت المناقشات تجاه الاكتفاء بطفلين، أن هناك قناعة من جانب البعض بأن الإنجاب يرتبط بالرزق والقدر، وبالتالي فإن المسألة محسومة قدريًّا، وبذلك فإن الاكتفاء بطفلين فقط، يعد أمرًا خارج الإرادة.

ونستنتج مما سبق، أن ثقافة الاكتفاء بطفلين فقط بغض النظر عن نوعهما، والتي تسعى السياسات والبرامج السكانية نحو بثها في أذهان الكثير من المتزوجين أو المقبلين على الزواج، تواجه الكثير من العقبات الثقافية المترسخة في أذهان الكثير، منها ما ذكرناه سلفًا في دراستنا، ومنها ما يتعلق بتدني كثير من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لقطاع عريض من السكان.

٢- المهاجرون والتعرض للثقافة الإنجابية الجديدة ببلدان المهجر

بسؤال حالات الدراسة عن كونهم مهاجرين عائدين من بلدان منخفضة الخصوبة، ومدى قدرتهم على الحفاظ على الممارسات والقيم المتعلقة بالخصوبة السائدة في مواطنهم الأصلية، أكدوا على التمسك بالقيم والعادات والتقاليد التي نشأوا عليها وعاشوا معها، إلا أنه مع طول مدة البقاء، وتزايد التفاعل الاجتماعي والمشاركة مع باقي فئات المجتمع المتلقي سواء في مؤسسات التعليم أو العمل، بدأت القيم والعادات الثقافية التي جاءوا بها من الموطن الأصلي في التراجع، مع انتشار ثقافة البيئة الاجتماعية الجديدة التي يقيم بها هؤلاء المهاجرون.

وتقول إحدى حالات الدارسة "رغم تعدد سبل الاتصالات التي وفرتها تكنولوجيا المعلومات، للتواصل والتفاعل والتشارك، بين المهاجر وثقافته الأصلية، إلا أن تشرب الثقافة الجديد والتكيف معها قد حدث بطريقة ديناميكية مع مرور الوقت، ومن خلال التفاعل الاجتماعي مع مختلف فئات المجتمع".

إضافة لما سبق، فقد أكدت حالات الدراسة أن ثمة عوامل متعددة تؤدى إلى أفول القيم الثقافية الأصلية التي جاءوا بها إلى المجتمعات المضيفة، وتشرب القيم الثقافية المتبادلة داخل النسق الثقافي الكلى لتلك المجتمعات، ومن أهمها ملاحظة إيجابيات تلك القيم، سواء كانت عائدة على الفرد أو الأسرة أو المجتمع ككل، ومن جوانب مختلفة صحيًّا واقتصاديًّا وتعليميًّا وترفيهيًّا ...إلخ.

ويقول آخر: "يكفى أن تلاحظ من الشواهد العامة طفلاً واحدًا أو اثنين على الأكثر لزوجين في العقد الرابع من العمر، بصحة جيدة يتنزهان في الحدائق العامة دون عناء أو تعب وكأنهما يعيشان رغد الحياة".

إضافة لما سبق، فقد كشفت المناقشات عن قناعات صريحة من المهاجرين، بأن الثقافة الجديدة التي تعرضوا لها هي ثقافات وليدة مجتمعات متقدمة، وهذه المجتمعات هاجروا إليها لتحسين أوضاعهم سواء اقتصاديًّا أو معرفيًّا أو علميًّا، وفى هذا الصدد ذكرت إحدى حالات الدراسة أنه بمجرد المقارنة اتضح له الغث من الثمين، حيث يكفى المقارنة مثلاً بين قيمة الزواج المبكر للفتاة في الموطن الأصلي عند سن الثامنة عشر وربما أقل، مقابل عدم تفكير الشباب من الجنسين (ذكور، إناث) في الزواج إلا بعد تحقيق الطموح الذاتي في التعليم والعمل ..إلخ في مجتمع المهجر.

ومن الشواهد التي أكدها كثيرون من حالات الدراسة ولاحظوها أثناء إقامتهم، خلو الأماكن العامة، ووسائل المواصلات والمؤسسات الخدمية من التكدس السكانى والكثافة السكانية المأهولة، التي يمكن ملاحظتها في جميع

المجتمعات المصرية، وقد استخلصوا من ذلك؛ العبء الذى يمكن أن يتركه النمو السكانى المتزايد على المواطن بصورة مباشرة، وكذا على الدولة في مواردها الاقتصادية المتنوعة.

وبذلك نستطيع القول إن سلبيات الثقافة الإنجابية بالموطن الأصلي؛ هي أيضًا من العوامل الرئيسة التي تؤثر في سرعة الاندماج مع ثقافة المجتمعات المضيفة وتغيير هوياتهم وثقافاتهم الأصيلة، فرغم أن المهاجرين قد جاءوا ومعهم أيديولوجيات وثقافات مترسخة في وجدانهم الجمعي، إلا أنها سرعان ما تتبخر بفضل التفاعل مع منظومات فكرية جديدة مختلفة كليًّا عما سبق أن اعتادوا عليه.

وتُــفيد المعطيات المتداولة من حالات الدراسة أن ثقافة الإنجاب المنتشرة بين المجتمعات الغربية، أدت إلى الانخفاض الكبير في معدلات الإنجاب، الذى تحول إلى مشكلة واضحة تواجه معظم البلدان الأوربية، وقد ذكرت الحالة (السابعة) العائدة من ألمانيا، أنه أثناء فترة الإقامة بمجتمع المهجر، قام بزيارة تفقدية لبعض القرى الألمانية لمقاطعة هامبورج وقد بدت له وكأنها خاوية على عروشها من ندرة السكان المقيمين، بل وذكر أن بعض القرى لا يوجد بها فقط سوى عمدة القرية وجهازها الإداري، ويؤكد في حديثه أن الظاهرة تعود إلى نمط الحياة الذي انتهجته الأجيال الشابة في الآونة الأخيرة حول العزوف عن الزواج، أو حتى الزواج ولكن دون إنجاب، وقد دفع هذا الأمر الحكومات في تشجيع شبابها على الإنجاب بتقديم العديد من الحوافز في صورها المختلفة، خوفاً من انقراض الجنس الألماني، ورغم تلك المغريات فالذي يقدم على الإنجاب يكتفى فقط بطفل واحد أو اثنين على الأكثر.

ويتفق التحليل السابق مع استخلاصات التوجه النظري للدراسة، فرغم احتواء عينة الدراسة لنمطين من الثقافات (أصلية جاءوا بها، وحديثة تعرضوا لها أثناء فترة الهجرة)، إلا أن التفاعل والمشاركة، ومدة البقاء

بالمجتمع الجديد؛ أدت إلى إعادة تشكيل تلك الثقافة، وهذا ما أكده "بورديو" ***Bourdieu*** في نظريته للممارسة، إضافة إلى سرعة التكيف مع تلك المعايير الجديدة، نتيجة لما لاحظه المهاجرون من منافع وإيجابيات عائدة على الممتثلين إليها.

من زاوية أخرى، تتفق آراء حالات الدراسة مع نتائج الدراسات المباشرة، حول العلاقة بين الهجرة العائدة وانخفاض معدلات الخصوبة، في أن عودة المهاجرين من مجتمعات منخفضة الخصوبة يكون لها آثارٌ إيجابية في خفض معدلات الخصوبة للموطن الأصلي، نتيجة تشبع العائدين بالقيم والمعايير والأفكار المشجعة على ضبط الخصوبة، فضلاً عن نشرها بين غير المهاجرين، ومن بين هذه الدراسات (Fargues, 2007,2011 & Choi,2014 & Beine et al.,2013).

٣- العودة للموطن الأصلي وإعادة تشكيل الثقافة الإنجابية

أ- نمط الثقافة المكتسبة في بلد المهجر

من خلال المقابلات، رصدت حالات الدراسة للعديد من القيم والأفكار والمعايير المكتسبة أثناء فترة الهجرة والتي يرون أنها إيجابية وساهمت في إعادة تشكيل ثقافتهم الإنجابية، ومن أهم سماتها ما يلى:

- التأثير بالحرص الشديد على تعليم الأبناء تعليمًا جيدًا وهادفًا، فضلاً عن المتابعة المستمرة لهم بغرس القيم الإيجابية والبناءة، وهذا الحرص على مستقبل الأبناء يجبر أغلب الآباء على إنجاب طفل واحد فقط أو اثنين على الأكثر في أغلب الأحوال، وقد ساهم هذا الأمر في اكتساب قيمة جديدة تجاه الأسرة الصغيرة المكونة من طفل واحد أو اثنين، وعوائدها الإيجابية للآباء والأبناء.
- لا يفكر الشباب في المجتمعات الغربية في الزواج في مراحل مبكرة من العمر، أو بمجرد الانتهاء من التعليم، ولا يواجه ضغوطًا اجتماعية، يصدرها له من حوله سواء الآباء أو الأقارب أو حتى

الأصدقاء، فالجميع يدرك أن الزواج مسئولية تتطلب إعدادًا وتأهيلاً، وخصائص محددة سائدة بالمجتمع، أهمها تحقق الذات بإنهاء التعليم والتمكين الاقتصادي بالمشاركة في سوق العمل، فضلاً عن النضج العقلي والعمرى، الذى يؤهل لتحمل المسئولية الأسرية وتحقيق الاستقرار الأسرى، ويذكر (ك.أ) أن معظم الطلاب الدوليين المرافقين له من الجنسيات الأخرى للبلدان المتقدمة، أثناء بعثته للولايات المتحدة الأمريكية كانوا في ثلاثينات العمر ورغم ذلك كانوا غير متزوجين، بل كانوا يتعجبون في قدرتنا على المواظبة بين الدراسة وأعباء الأسرة ومتطلبات الأبناء. وفى هذا الصدد تشير الحالة (أ.ج) إلى أن تراجع الإقبال على الزواج من جانب الشباب أثناء هجرته، وارتفاع نسبة الذين يؤجّلونه، أو العزوف التام عنه بالبقاء بدون زواج ــ على عكس ما اعتاد عليه في الموطن الأصلي ــ أدى إلى إعادة تشكيل اتجاهاتي نحو الزواج والإنجاب، ولو عاد بي الزمن لتزوجت في سن متأخرة عما تزوجت في السابق.

- وفيما يتعلق باستخدام وسائل تنظيم الأسرة، فقد أجمعت حالات الدراسة على القول بإن الوسائل متاحة لدى الجميع ــ كما في أغلب المجتمعات ــ، ولكن الاختلاف في أن الشباب من الذكور يدركون دورهم في استخدام الوسائل الخاصة بهم (كالواقي الذكرى) من الناحية المعرفية، وإن كان هذا الأمر مدركًا نتيجة التثقيف الجنسي والتعاليم الغربية المعروفة. فثمة جانب سلبى لا بد أن ننوه له، وقد ذُكر من جانب بعض حالات الدراسة، وهو خاص بثقافة الزواج والإنجاب خارج الدوائر المشروعة في البلدان الغربية، حيث تنتشر العلاقات الجنسية بين الشباب والفتيات خارج دائرة الزواج، وهو الأمر الذى ربما يساهم في زيادة معارف هؤلاء تجاه استخدام الوسائل الخاصة بالرجال، ولهذا فقد التمست بعض حالات الدراسة جهود

الحكومات الغربية والمنظمات الطوعية في توعية الشباب، بالابتعاد عن الممارسات الضارة باستخدام الموانع الوقائية لوسائل منع الحمل، وللوقاية من انتشار الأمراض الجنسية كمرض نقص المناعة المكتسبة. وبالتالي فإن مسألة استخدام وسائل تنظيم الأسرة قبل إنجاب الطفل الأول وعقب الزواج، يعد تقليدًا متبعًا لدى كثير من الأزواج والزوجات بغية التمتع بحياة صحية جيدة قبل الانشغال بإنجاب الأبناء وتنشئتهم، والتروي للكشف عن مسار ذلك الزواج ومدى استقراره.

- لا فرق بين الذكور والإناث في مسألة الإنجاب، ولا يفضل المجتمع الغربي في كثير من الأحيان زيادة العبء الأسرى وتحمل مسئولية إنجاب طفل آخر لرغبة الزوجين أو أحدهما في نوع ما من المواليد (ذكرًا كان أو أنثى). وتذكر الحالة (العاشرة) أن مسألة تحديد نوع الجنين لا تلقى اهتمامًا مبالغًا فيه من جانب الأزواج في المجتمعات الغربية، بل أنه أكد أن كثيرًا من الأزواج يحرصون على عدم معرفة نوع الجنين خلال متابعة الحمل لتكون بمثابة مفاجأة سارة عند الولادة بغض النظر عن نوع المولود.
- عند السؤال عن مسألة ختان الإناث في المجتمعات الغربية، أكدت جميع مفردات العينة أنها متلاشية تمامًا، إلا لدى الجاليات العربية والإسلامية، وأن هذا الزوال لتلك العادة قد تم منذ عقود، بمجرد أن أثبتت الأبحاث العلمية أنها عادة ضارة، أصبح لدى الجميع (الأسرة ــ الأطباء) معرفة وقناعة بأن هذا الفعل يعد بمثابة إيذاء لجسد الأنثى ويعرض القائم به للمساءلة القانونية.

ب-ثقافة الإنجاب بعد عودة حالات الدراسة للمجتمع المحلى

عند الحديث مع حالات الدراسة حول الوضع الراهن لآرائهم واتجاهاتهم وما يمتثلون إليه من قيم وأفكار تجاه ثقافة الإنجاب بعد العودة والإقامة بمجتمع الدراسة، تبين أن هناك الكثير من الأفكار والمفاهيم

الخاطئة، التي قد تلاشت بعد العودة من المجتمعات الغربية، بل إن آراءهم تجاه الموروثات الثقافية الإنجابية كانت على النقيض تمامًا مع ما يسود بمجتمع الدراسة، فكثرة الأولاد لا تجلب العزوة، بل تجلب العوز لإشباع احتياجات هذا العدد الكبير من الأبناء، وبالتالي فهي تؤدى إلى زيادة حدة الفقر.

أما سرعة الإنجاب عقب الزواج فهي ليست دليلاً في فحولة الرجال، بالقدر الذى ينظر فيه عينة الدراسة إلى الإنجاب كمسألة محسومة بكثير من التكاليف والمسئوليات الخاصة بالأبناء من تنشئة ورعاية وتعليم، وغيرها من الأمور التي لا بد وأن تؤخذ في الحسبان قبل اتخاذ قرار الإنجاب.

وفيما يتعلق بختان الإناث، فقد تغيرت الأفكار تمامًا تجاه هذه العادات، فضلاً عما تسببه في حدوث كثير من المشكلات الصحية والإنجابية والجنسية والنفسية للفتاة.

وتتفق حالات الدراسة على أن لعملية الختان آثارًا ضارة على الإنجاب، فخلال الإنجاب، تعاني المرأة المختتة وطفلها من مخاطر ناتجة عن ختانها خاصة عند الولادة، حيث يصعب في بعض الأحيان مرور الجنين بشكل آمن، فضلاً عن مشكلات أخرى ربما ينتج عنها الوفاة، كعدم التئام الجرح الناجم عن الختان، والتهابات في المسالك البولية والرحم. وكذا بعض التعقيدات الأخرى أثناء فترة الحيض، فضلاً عن المشكلات النفسية والزوجية والجنسية المتعددة.

كما كان موقف عينة الدراسة إيجابيًّا تجاه كثير من قضايا الإنجاب، والتي تدلل على إعادة تشكيل ثقافة الإنجاب لديهم، فهم يرون أن العمر الأنسب للزواج لدى الذكور يجب أن يبدأ بعد سن الثلاثين، أي عند الدخول في العقد الثالث من العمر، على أن يتحدد سن الزواج لدى الإناث بين سن العشرين والخامسة والعشرين.

كما أن متابعة الحمل والولادة على أيدى الأطباء المتخصصين، لمن

أهم المسائل التي أبدت عينة الدراسة أهميتها في هذا الشأن، فضلاً عن وجوب استخدام وسائل تنظيم الأسرة لتحقيق حجم أمثل للأسرة الصغيرة.

أخيرًا ترى عينة الدراسة أن إجراءات الفحص الطبي قبل الزواج من القضايا المهمة التي يجب أن تمارس فعليًّا وليس ورقيًّا بمجتمع الدراسة، لأن هذا الأمر يعد إجراء احترازيًّا لكلا الزوجين للتعرف على الكثير من المسائل الخاصة بهم، ومنها الأمراض الوراثية والأمراض المنقولة جنسيًّا.

جـ- محاولات نقل الثقافة الإنجابية المكتسبة للمجتمع المحلى

فيما يتعلق بمحاولات نقل الثقافة الإنجابية المكتسبة في المجتمع المحلى، سواء للأقارب أو الجيران أو الأصدقاء، فإن حالات الدراسة أجمعوا على أنهم قد عرضوا قضايا الإنجاب وأفكاره، في عديد من المناقشات في صورة تجارب وخبرات جاءوا بها، ومن خلال المقارنة بين صورة ثقافة الإنجاب بمجتمع الدراسة من جانب، وما يسود في المجتمعات الغربية من ثقافة مضادة من جانب آخر، لتوضيح المزايا والإيجابيات لمن يتناقشون ويتفاعلون معهم من النماذج الثلاثة السابق الإشارة إليها، كانت مخرجات المقابلة المتعمقة لتلك المحاولات والمناقشات على هذا النحو:

أكثر من استفادوا من نقل الثقافة الإنجابية الجديدة؛ الأقارب ثم الأصدقاء فالجيران، ولكن بدرجة غير مرضية حسب وصف حالات الدراسة، فقد أكدوا أنهم لم يحققوا إنجازًا ملموسًا تجاه القضية.

وربما يكون تفسير ذلك لضعف المشاركة الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين، فإعادة إنتاج الثقافة الإنجابية لغير المهاجرين ــ كما جاء في نظرية الممارسة "لبورديو" ــ يتطلب مزيدًا من التفاعل الاجتماعي والتواصل المستمر، الذى ينتج عنه تراكم رأس المال الاجتماعي، وخير دليل أن أكثر المتأثرين بالثقافة الجديدة جماعة (الأقارب)، وهم بالطبع أكثر من يلتقى بهم ويتفاعل معهم العائدون مقارنة بالجماعات الفرعية الأخرى.

ومن القيم التي مثل لها الأقارب خاصة من الدرجة الأولى كالإخوة،

والأخوات، عدم الزواج في سن مبكرة والاختيار للزواج بحرية تامة، وعدم النظر إلى ختان الإناث وكأنه ضرورة أو تقليد ومحاكاة للآخرين بعد أن أثبت العلم عدم جدواه.

أما القيم التي لم يعاد تشكيلها وفقًا لتوجهات الفئات الثلاث، فكانت عدم الاكتفاء بطفلين فقط، وصعوبة بل استحالة استخدام وسيلة لتنظيم الأسرة عقب الزواج وقبل إنجاب الطفل الأول، ومن المبررات التي ذكرتها حالات الدراسة (تساؤل أحد الأصدقاء كيف يمكن لي إقناع زوجتي، وكذا أهلها بأننا لا نريد أن ننجب بعد الزواج مباشرة). وهذا ما يؤكد سيطرة الموروثات الثقافية على توجهات كثير من الأفراد والجماعات بمجتمع الدراسة، إضافة إلى تأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية الأخرى.

إضافة لما سبق، فإن الرغبة في إنجاب طفل ذكر ما زالت منغمسه في عقول الكثير من الشباب فالأقارب والأصدقاء والجيران المتفاعلين مع المهاجرين العائدين، أكدوا أنهم حريصون على إنجاب طفل ذكر على الأقل عقب الزواج لأسباب سبق طرحها في الجانب الخاص بالثقافة الإنجابية لمجتمع الدراسة.

ورغم إعادة تشكيل بعض قيم ثقافة الإنجاب وبقاء البعض الآخر دون تغير، إلا أننا نستطيع القول إن حالات الدراسة قد حاولت على مضض نشر بعض قيم ومعايير الثقافة الجديدة، في ضوء ما يحوزونه من رأس مال نوعى، مع الأخذ في الاعتبار تأثير تداخلات العوامل الاجتماعية والاقتصادية، التي تعرقل عملية الانتشار الثقافي وإرساء دعائم وإيجابيات الثقافة الجديدة، وهذا ما أشار إليه منظور الانتشار الثقافي للدراسة.

ت-معوقات نقل الثقافة الإنجابية الجديدة

بسؤال حالات الدراسة حول العقبات التي واجهتهم في نقل إيجابيات الثقافة الإنجابية التي أتوا بها من المجتمعات الغربية إلى المجتمع المحلى، أجمع الغالبية منهم على أن التمسك بالموروثات الثقافية والعادات والقيم

الخاصة بالثقافة الأصلية، في ظل تدنى الخصائص الأخرى من تعليم ومعرفة، وطبيعة المشاركة واتخاذ القرار، والطبقة الاجتماعية، لمن الأمور التي تؤثر في إعادة تشكيل هذه الثقافة. وهذا ما أشارت إليه نتائج الأدبيات السابقة حول العوامل والمحددات المؤثرة في ثقافة الإنجاب وسلوك الخصوبة، خاصة دراسات (عبد الرسول، ١٩٩٤) بمجتمع الدراسة، وكذا دراستي (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠١٤ وعلى، ٢٠١٦).

وهذه العوامل مجتمعة تشكل الإطار المرجعي لتوجهات الأفراد وممارساتهم تجاه قضايا الإنجاب والمسئولية الاجتماعية تجاهها، ولهذا ترى حالات الدراسة أن هناك تفاوتات في استعدادات الأفراد ــ خاصة لدى الجيرة ــ لاستقبال الرسائل الجديدة لقيم الإنجاب، تبعًا لمستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية، ودرجة الانفتاح على العالم، والخبرات الحياتية التي عايشوها.

إضافة لما سبق، أسفرت المناقشات المتعمقة من جميع حالات الدراسة أن من الأسباب التي تعرقل استخدام وسائل تنظيم الأسرة ببيئاتهم المحيطة حسب اعتقاداتهم هى:

- تأثير المفاهيم المغلوطة دينيًّا، فضلاً عن دور التيارات الدينية التي تستند إلى بعض الأحاديث المغلوطة. خاصة وأن المرجعية الدينية تعد من أهم المصادر التي تمارس تأثيرًا قويًّا في رفض هذه الأفكار الجديدة.
- المعلومات الصحية المغلوطة المتعلقة باستخدام وسائل تنظيم الأسرة، ومنها أنها تؤدى إلى العقم، والأمراض الخبيثة.

رابعًا: النتائج العامة ودلالاتها النظرية والتطبيقية

١- النتائج العامة وتساؤلات الدراسة

- للإجابة على التساؤل الأول من الدراسة حول نمط الثقافة الإنجابية المتداول في الموطن الأصلي للمهاجرين، وتصورات المهاجرين

نحوها قبل قرار الهجرة ؟ نجد أن التحليل الكيفي للبيانات كشف عن بقاء قيمة الزواج المبكر للإناث وتجذرها في المجتمع، ووجود الكثير من الشواهد التي تدلل علي طرائق وعادات هذا الزواج، قبل بلوغ السن القانونية للفتاة، بكتابة وثيقة عرفية تعد بمثابة عقد بين العائلتين بالتنسيق مع المأذون الشرعي لحين بلوغ الفتاة السن القانونية، فضلاً عن اقتران زواج الفتاة بانتهاء مرحلة التعليم المتوسط، خاصة لدى الملحقات بمدارس التعليم الفني.

وفيما يتعلق بختان الإناث، فيمكن القول إنه أضحى ملمحًا من مأثورات مجتمع الدراسة، لدرجة امتزج فيها العرف والعادات والتقاليد بالدين والمعتقدات، فقد أكدت التحليلات أن عادة ختان الإناث ما زالت مترسخة في مجتمع الدراسة، ضاربة بجذورها في أغلب الأسر الصعيدية، وأن أغلب الحجج التي يسقطها أرباب الأسر مع زوجاتهم في هذا الشأن، أن الختان يتم للطفلة كما حدث من قبل سواء لأخواتهن أو أقاربهن.

وكون الثقافة الريفية الإنجابية ذات صبغة ذكورية، فللذكور (الآباء) دورٌ فاعلٌ في اتخاذ القرار في هذا الشأن فهي عفه لبناتهن، كما أن الإناث (الأمهات) يوافقن ويؤيدن، ويحددن موعدًا بالتنسيق مع بعض الأقارب والجيران لختان الإناث اللاتي تتقارب أعمارهن في توقيت واحد.

أما عن الحمل والإنجاب المباشر للزواج (عدم استخدام وسائل تنظيم الأسرة قبل إنجاب الطفل الأول)، فقد أشارت البيانات أن كلا الزوجين بمجتمع الدراسة يكونان حريصين على الإنجاب المباشر للزواج، بل إن التشهير بحدوث الحمل المبكر لدى كلا العائلتين (عائلة الزوج والزوجة) يجلب السعادة لهما، وكذا بالنسبة للزوجين. فثقافة المجتمع تضغط على الزوجين للحمل المبكر فور الزواج دون تهيئتهم لمفهوم المسئولية الوالدية، أو التأكد من الاستعداد النفسي والبدني لدى الزوجة لإنجاب طفل سليم، كذلك عدم ترك مساحة من الوقت للتأكد من قدرة هذا الزواج على الاستمرار.

كما كشفت البيانات عن عدم استخدام الوسيلة العازلة والمعروفة لدى الرجال، وقد تبين من استجابات الأزواج حول استخدام وسائل تنظيم الأسرة وكأنها ممارسات تخص الزوجات فقط دون الأزواج.

من جانب آخر، أبانت التحليلات أن الثقافة الإنجابية بما تحويه من عادات وتقاليد وقيم واتجاهات تشجع على إنجاب الذكور، وأن هذه القيمة ما زالت متأصلة في النفوس، وهى التي تحكم السلوك الإنجابي، وتفضيلات الإنجاب لدى الأفراد بمجتمع الدراسة، ومن الملفت للانتباه أن الأزواج من عينة الدراسة وزوجاتهم قد أكدوا على حرصهم على إنجاب طفل ذكر على الأقل.

كما أوضحت الدراسة، أن هناك قناعة من جانب البعض بأن الإنجاب يرتبط بالرزق، وبالتالي فإن المسألة محسومه قدريًّا، وبذلك فإن الاكتفاء بطفلين فقط يعد أمرًا خارج الإرادة.

- وفيما يتعلق بالتساؤل الثاني، والذى مؤداه: هل تمكن هؤلاء المهاجرون من اكتساب ثقافة إنجابية جديدة في بلدان الهجرة، أم العكس (أي نقل ثقافة المهاجرين الإنجابية للمجتمع المتلقي)؟ فقد تبين من التحليل المتعمق للبيانات، أن المهاجرين يتمسكون بالقيم والعادات التي يحملونها معهم من موطنهم، على الأقل في الفترات الزمنية الأولى للإقامة بالمجتمع المتلقي، أو أثناء تهيئتهم لتلقى الثقافة الجديدة، ومع طول مدة البقاء، وتزايد التفاعل الاجتماعي والمشاركة تكتسب ثقافة جديدة منتشرة داخل البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها هؤلاء المهاجرون.

إضافة لما سبق، فقد تبين من المناقشات أن ثمة عوامل أدت إلى أفول القيم التي جاء بها هؤلاء المهاجرون إلى المجتمعات المضيفة، ومن بينها ملاحظة إيجابيات تلك القيم سواء كانت عائدة على الفرد أو الأسرة أو المجتمع ككل، ومن جوانب مختلفة صحيًّا، واقتصاديًّا، وتعليميًّا، وترفيهيًّا.. إلخ. فضلاً عن قناعات المهاجرين بأن الثقافة الجديدة التي يتعرضون لها هي

ثقافات وليدة مجتمعات متقدمة هاجروا إليها لتحسين أوضاعهم سواء اقتصاديًّا أو معرفيًّا أو علميًّا.

وبالتالي نستنتج أن المهاجرين من حالات الدراسة، لم يستطيعوا نقل الثقافة المحلية المتعلقة بالإنجاب إلى المجتمعات التي هاجروا إليها، أو إعادة إنتاج تلك الثقافة في ظل البنية الاجتماعية التي يتفاعلون معها.

كما اكتسبت حالات الدراسة العديد من القيم والأفكار والمعايير الإنجابية أثناء فترة الهجرة، والتي يرون أنها إيجابية وساهمت في إعادة تشكيل ثقافتهم الإنجابية وهى؛ (التأثير بالحرص الشديد من جانب الآباء على تعليم الأبناء تعليمًا جيدًا، فضلاً عن المتابعة المستمرة لهم بغرس القيم الإيجابية والبناءة والحرص على مستقبلهم، وبالتالي لا وجود لما يسمى القيمة الاقتصادية للطفل، ولا يواجه الشباب بالزواج في مراحل مبكرة من العمر بضغوطات اجتماعية يكون مصدرها من حوله سواء الآباء أو الأقارب أو حتى الأصدقاء، فالجميع يدرك أن الزواج مسئولية، ولا فرق بين الذكور والإناث في مسألة الإنجاب، وإدراك الذكور لإسهاماتهم تجاه المشاركة والتعاون مع الزوجات لاستخدام الوسائل الخاصة بهم لتنظيم الأسرة.

من جانب آخر، كشفت المناقشات المتعمقة لتصورات وآراء عينة الدراسة تجاه الكثير من السلوكيات والموروثات الثقافية قبل وبعد العودة من الهجرة، عن تغيرات إيجابية كثيرة حول السن المناسبة للزواج، ومناهضة ختان الإناث، واستخدام وسائل تنظيم الأسرة للأزواج، والمساواة في إنجاب النوع، وكذا الحجم الأمثل للأسرة.

- أما التساؤل حول مدى إمكانية أن يساهم المهاجرون العائدون في نشر الثقافة الإنجابية التي تعرضوا لها، وإعادة تشكيل الثقافة الإنجابية لدى جماعات الأقارب والأصدقاء والجيران، فقد كشفت البيانات عن إعادة تشكيل بعض القيم الإنجابية والتمسك بأخرى دون تغيير، فضلاً عن عدم رضا عينة الدراسة بقدر إسهاماتهم في نشر القيم الإيجابية التي

حملوها معهم من مجتمع الهجرة، نتيجة ضعف درجة المشاركة الاجتماعية والتفاعل المطلوبة.

أما أكثر المستفيدين من تلقى تلك الثقافة الإنجابية المنشورة، فكانوا جماعة الأقارب يليهم الأصدقاء ثم الجيران، ومن القيم الثقافية الإنجابية التي اكتسبها الأقارب خاصة من الدرجة الأولى كالإخوة، والأخوات؛ عدم الزواج في سن مبكرة والاختيار للزواج بحرية تامة، ومناهضة ختان الإناث. أما القيم التي لم يعاد تشكيلها وفقًا لتوجهات الفئات الثلاث، فهي: عدم الاكتفاء بإنجاب طفلين فقط، وصعوبة، بل استحالة استخدام وسيلة لتنظيم الأسرة عقب الزواج أو قبل إنجاب الطفل الأول، وتفضيل إنجاب الذكور.

- وفيما يتعلق بالعقبات التي واجهت العائدين بالثقافة الجديدة في نشرها وإعادة تشكيل الثقافة الإنجابية الأصلية بمجتمع الدراسة؟ فقد جاء على رأس تلك العقبات؛ التمسك بالموروثات الثقافية والعادات والقيم الخاصة بالثقافة الأصلية، مدعومة بتدني الخصائص الاجتماعية الأخرى من تعليم ومعرفة، وطبيعة المشاركة وطرائق اتخاذ القرار، والانتماء الطبقي. إضافة إلى المرجعية الدينية التي تعد من أهم المصادر التي تمارس تأثيرًا قويًّا في رفض هذه الأفكار الجديدة وإعادة تشكيل الثقافة الإنجابية.

٢- النتائج العامة ودلالاتها النظرية

- يمكن الاستناد إلى مقولات نظرية الانتشار الثقافى لفهم الطريقة التى تكون فيها عودة المهاجرين من مجتمعات منخفضة الخصوبة بمثابة قناة عابرة للحدود القومية، تنتشر من خلالها القيم والعادات والمعايير الجديدة المتعلقة بانخفاض الخصوبة والتحول الديموجرافي في البلدان النامية المرسلة للمهاجرين، مع الوضع فى الاعتبار أن تداول القيم والمعايير الجديدة يجب أن يتم دون مواجهة عراقيل الموروثات الثقافية، إلى جانب تأثيرات المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية لبلدان

المنشأ، وكذا مقدار الثقة الذى ينظر فيه للمهاجرين العائدين كأشخاص ناجحين في مجتمعاتهم الأصلية، وبالتالي يمكن أن يكون هؤلاء العائدون فاعلين فى تمرير القيم والممارسات التي تعرضوا لها في المجتمعات المضيفة إلى الموطن الأصلي.

- وفى ضوء نظرية التكيف الاجتماعى، يمكن أن نستنتج أن عملية التكيف تتم في إطار العلاقات الاجتماعية التي يعيش فيها المهاجرون ببلدان الهجرة، وتلك العلاقات والتفاعلات التي تتم مع جماعة الأقران وأصدقاء العمل وغيرهم، تعد بمثابة الداعم الرئيس لاكتساب قيم وأفكار ومعايير جديدة أثناء فترة الهجرة، من ناحية، وأحد مظاهر التكيف والتوافق الاجتماعى فى البيئة الجديدة من ناحية أخرى. وبما أن التكيف الاجتماعى عملية مستمرة وديناميةلاستيعاب الثقافة الجديدة فهي تحتاج إلى بقاء المهاجرين فترة زمنية كافية لتحقيقها.
- يمكن أن نتصور من مقولات نظرية الممارسة لدى "بورديو"؛ الطريقة التي يتم من خلالها تقييم الثقافة التي يأتي بها المهاجرون من موطنهم الأصلى، وعدم إعادة إنتاجها ببلدان المهجر كونها تصورات أو قيم أو ممارسات غير فاعلة بتلك المجتمعات، فتقييم المهاجرين لثقافتهم الإنجابية، فضلاً عن كون الممارسة فعلاً موجهًا ومحصلة خبرات مكتسبة، فإن طبيعة الفعل تقتضى اكتساب الثقافة الإنجابية الجديدة لبلدان المهجر، وبالتالي فإن المحصلة النهائية لدى المهاجرين العائدين، تتمثل في إعادة إنتاج الثقافة الإنجابية داخل البناء الاجتماعي للموطن الأصلي، ومحاولة ممارسة التصورات المتراكمة والإدراكات الجديدة والقيم المكتسبة، ويتطلب هذا الأمر أن يتشبع هؤلاء العائدون برأس مال نوعى متراكم، يتاح من خلال المشاركة والتفاعل الاجتماعي الإيجابي مع جماعات الأصدقاء والأقارب والجيران المحيطين بهم.

٣- النتائج العامة ودلالاتها التطبيقية

وفقًا لما اُسْتُعْرض من نتائج، فإن الدراسة توصى بما يلى:

- إعادة تشكيل الثقافة الإنجابية الحالية ليست مسئولية وزارة بعينها أو مجلس بعينه، بل هي مسئولية تضامنية بين كافة الوزارات والأجهزة والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني، لهذا لا بد أن تمارس الدولة ــ ممثلة في وزارات توجيه الوعى (الثقافة، والإعلام، والتربية والتعليم، والتعليم العالي، والأوقاف) ــ أدوارها في التوظيف الأمثل لمخرجات ونتائج البحوث والدراسات العلمية، والاهتداء بها لصوغ استراتيجية قومية جديدة وخطط وبرامج تواجه الثقافة الإنجابية الحالية، وتتماشى مع قيم ومتطلبات التنمية البشرية بالفهم، والفكر، والتبصير، والمحاكاة لما يناسبنا من النماذج الغربية المتقدمة.
- الاهتمام بدمج الثقافة الإنجابية ضمن البرامج التعليمية بمراحل التعليم المختلفة، مع إيلاء أهمية للمقارنة بين سلبيات الثقافة الحالية (الزواج المبكر، وختان الإناث، والحرص على إنجاب الذكور، وعدم الاكتفاء بطفلين)، ومزايا الثقافات الإنجابية الأخرى (تأجيل سن الزواج، ومناهضة ختان الإناث، ومساهمة وتعاون الرجال في استخدام الوسائل المتاحة لهم، والمساواة في إنجاب النوع، والاكتفاء بطفل أو اثنين على الأكثر) في بلدان العالم المتقدم، وتوضيح المخرجات التنموية لذلك على المستويين الفردي والقومي.
- على الدولة ممثلة في وزارة الصحة والسكان، أن تمد الأزواج والزوجات في مناطق الوجه القبلي بالثقافة الإنجابية والجنسية الشاملة، من خلال إصدار كتيبات واضحة وبسيطة لمن يجيدون القراءة، ونشرات تثقيفية مزودة بالرسومات والصور التوضيحية للأميين، حول مفاهيم ومضامين الثقافة الإنجابية والجنسية الصحيحة. لخلق اتجاهات إيجابية لديهم تكون قائمة علي معرفة علمية هادفة بأخطار

الزواج المبكر وزواج القاصرات، وختان الإناث، والحمل المبكر، وكذا كثرة الإنجاب.

- ضرورة إعداد وتأهيل الرائدات والمثقفات الريفيات ــ كبديل حيوي للعائدين من مجتمعات منخفضة الخصوبة ــ من خلال الندوات واللقاءات المباشرة؛ بطرائق التواصل والتفاعل المباشر وسبل الإقناع الموجهة للأزواج والزوجات من خلال الزيارات المنزلية المباشرة، وتوضيح أهميتها وفاعليتها لهن في نشر القيم الإيجابية الهادفة لتخفيض الإنجاب، بما يتوافق مع الواقع الفعلي لمجتمعات الوجه القبلي وثقافته.

أما القضايا التي أفرزتها الدراسة الحالية فمنها:

- بحث الهجرة العائدة وقضايا الهوية والاندماج الثقافي بالموطن الأصلي.
- دراسة الفجوات المعرفية لنموذج الثقافة الإنجابية الإيجابية للمناطق العشوائية في مصر.
- مقارنة تأثيرات التفاعل والاتصال المباشر للمثقفات الريفيات في ممارسات الأزواج والزوجات المرتبطة بتنظيم الأسرة بثقافات فرعية متنوعة.
- تقييم فعالية الأطر التشريعية المصرية في مكافحة الزواج المبكر: دراسة نقدية لقوانين الأحوال المدنية الشخصية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

١- إدجار، أندرو وجويك، بيتر. (٢٠١٤). ترجمة الجوهري، هناء. موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية. الطبعة الثانية، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

٢- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء. (أغسطس ٢٠١٦). النشرة السنوية لتصاريح العمل الصادرة للمصرين للعمل بالخارج عام ٢٠١٥.

٣- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء. (٢٠١٧). نتائج التعداد العام للسكان والإسكان.

٤- السيد، إيمان. (٢٠٠٢). العادات المرتبطة بالزواج والإنجاب وعلاقتهما بتنظيم الأسرة في ريف محافظة الدقهلية. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة المنصورة.

٥- العجمي، مشيرة. (أغسطس ٢٠١١). سلوك الأزواج المرتبط بتنظيم الأسرة وعلاقته ببعض المتغيرات بإحدى قرى محافظة الدقهلية. مجلة المنصورة للاقتصاد الزراعي والعلوم الاجتماعية، جامعة المنصورة، المجلد الثاني، العدد الثامن، ١٠٨٥- ١٠٩٨

٦- الفوال، نجوى وحليم ، نادية. (٢٠٠٨). المحددات الثقافية للزيادة السكانية: دراسة حالة على عينة من الشباب بمحافظات الإسماعيلية، الشرقية، بنى سويف، سوهاج. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلس القومي للسكان، القاهرة، ١ – ٢٢٦.

٧- المجلس القومي للسكان. (يونيو٢٠١٧). ترتيب المؤشرات الديموجرافية للمحافظات والأقاليم.

٨- المركز الديموجرافى. (٢٠٠٤). سكان مصر في القرن العشرين. الطبعة الثانية، القاهرة.

٩- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلس القومي للسكان. (٢٠١٤). تطور دور القيم الاجتماعية في تفاقم المشكلة السكانية في المرحلة الحالية: دراسة مقارنة للقيم السكانية في سياقات اجتماعية متباينة. القاهرة، ١- ٢١٣.

١٠- المنظمة الدولية للهجرة. (٢٠١٣). قاموس مصطلحات الهجرة. الإصدار الثاني، العدد (٣٢).

١١- بدوى، موسى. (٢٠٠٩). ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بيرديو. إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد الثامن، ٩-٢٣.

١٢- جمعة، حسين. (٢٠١٥). محددات السلوك الإنجابي في المناطق العشوائية: بحث ميداني على عينة من الأسر في محافظة السويس. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية (٣)، الرسالة (٤٤٢)، الكويت، ١٠- ١٨٠.

١٣- سليمان، عدنان. (٢٠٠٠). سيوسيولوجيا الثقافة السكانية: دراسة تحليلية لثقافة الخصوبة النسائية فى سورية. مجلة جامعة دمشق، المجلد (١٦)، العدد الثاني، ٢٤٣- ٢٧١.

١٤- عبد الرسول، عبد المعبود. (١٩٩٤). دور القيم والاتجاهات فى تغيير السلوك الإنجابي: دراسة ميدانية مقارنة. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة المنيا.

١٥- علي، إنتصار. (ديسمبر ٢٠١٦). دراسة اجتماعية لقياس وعى السيدات بأبعاد الصحة الإنجابية لبعض قرى محافظة الوادي الجديد. مجلة المنصورة للاقتصاد الزراعي والعلوم الاجتماعية، جامعة المنصورة، المجلد السابع، العدد الثاني عشر، ١١٧٣- ١١٧٩.

١٦- عماد، عبد الغنى . (٢٠٠٦). سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة. الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

١٧- كوش، دنيس. (مارس ٢٠٠٧). ترجمة السعيداني، منير. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٨٣: ١٩٥.

١٨- مايتوز، يوب وروس، ليز. (٢٠١٦). ترجمة الجوهري، محمد. الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية. الطبعة الأولى، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

١٩- محيى الدين، محمد. (١٩٩٩). عابرو قوميات ــ عابرو ثقافات: تصورات أولية لدراسة الشخصية المصرية في المهجر الأمريكي. في الكردي، محمود (تحرير). الشخصية المصرية في عالم متغير. (٤٤٣ - ٤٦٦)، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة.

٢٠- مصباح، محمود وجمال الدين، أحمد وعبده، سعد. (أغسطس ٢٠١٢). السلوك الإنجابي للمرأة الريفية تحت بعض الثقافات الفرعية في مركز مطوس بمحافظة كفر الشيخ. مجلة المنصورة للاقتصاد الزراعي والعلوم الاجتماعية، جامعة المنصورة، المجلد الثالث، العدد الثامن، ١١١٥- ١١٣٤.

٢١- منصور، محمد. (٢٠٠٢). المهاجرون المصريون في الولايات المتحدة: عوامل التكيف ومؤشرات الاندماج والعزلة. حوليات آداب عين شمس، المجلد (٣٠)، ١٢٢ : ١٦٧.

٢٢- هندي، عبد المجيد. (تحت النشر ٢٠١٩). الهجرة القسرية والاندماج الاجتماعي: دراسة إثنوجرافية لعينة من أرباب الأسر السورية المقيمة بالمجتمع المصري. المجلة العربية لعلم الاجتماع، جامعة القاهرة، تم تحكيمه وقبوله للنشر، العدد (٢٤).

ثانيًا: المراجع الأجنبية

1- Agadjanian, Victor.(2018). Interrelationships of Forced Migration, Fertility and Reproductive Health. in Hugo, Graeme& Abbasi-Shavazi, Jalal & Kraly, Ellen (Eds.). Demography of Refugee and Forced Migration. (113-124) The International Union for the Scientific Study of Population (IUSSP), Volume 13, Springer International Publishing.

2- Ajus, Ferenc.(May 2009). Fertility, Modernization, Religion and Land Availability in Transylvania, 1900-1910. Master' s thesis (15 credits ECTS), Lund University.

3- Bacchi, Alessia.(2014). The Contributions of Highly Skilled Migrants to the Development of their Country of Origin: Highly-Skilled Egyptian Migrants in the OECD Countries. (MPC)The Migration Policy Centre.

Retrieved from http://cadmus.eui.eu/handle/1814/31978

4- Beine, Michel & Docquier, Frédéric & Schiff , Maurice. (December 2008). International Migration, Transfers of Norms and Home Country Fertility. The Institute for the Study of Labor (IZA), Discussion Paper No. 3912,1-35.

5- Beine, Michel & Docquier, Frédéric & Schiff, Maurice. (November 2013). International migration, transfer of norms and home country fertility. The Canadian Journal of Economics, Vol. 46, No. 4, 1406-1430.

6- Bertoli, Simone.(November 2015). Does return migration influence fertility at home؟. (IZA) World of Labor , 204,1-10.

Retrieved from https://wol.iza.org/uploads/articles/204/pdfs/does-return-migration-influence-fertility-at-home.pdf

7- Bongaarts, J. and S. C. Watkins .(Dec. 1996). Social Interactions and Contemporary Fertility Transitions. Population and Development Review, Vol. 22, No. 4, 639-682.

8- Borgatta ,Edgar & Montgomery ,Rhonda.(2000). Encyclopedia of Sociology. Second Edition, Vol.2, USA, Macmillan Reference.

9- Chavez, Leo.(2006). Culture Change and Cultural Reproduction Lessons from Research on Transnational Migration. In Stockard , Janice & Spindler, George (Eds.). In, Globalization and Change in Fifteen Cultures: Born in one World and Living in Another.(238-300). CA: Thomson-Wadsworth.

10- Choi, Kate.(March 2014). Fertility in the context of Mexican migration to the United States: A case for incorporating the pre-migration fertility of immigrants. Demographic Research, Volume

30, Article 24, 703 -738.
http://www.demographic-research.org/Volumes/Vol30/24/

11- Daudin, Guillaume & Franck, Raphaël & Rapoport, Hillel. (May 2016).The Cultural Diffusion of the Fertility Transition: Evidence from Internal Migration in 19th Century France. The Institute for the Study of Labor (IZA), Discussion Paper No. 9945,1-50.

12- Fargues, Philippe.(2007). The Demographic Benefit of International Migration: A Hypothesis and Its Application to Middle Eastern and North African Contexts. In Ozden, Claglar& Schiff, Maurice (Editors), International Migration , Economic Development & Policy. (161-182) Publication of The World Bank and Palgrave Macmillan, New York.

13- Fargues, Philippe.(Fall 2011). International Migration and the Demographic Transition: A Two-Way Interaction. Center for Migration Studies of New York, Volume 45 Number 3:588–614.

14- Genereux, Anne.(February 2007). A review of migration and fertility theory through the lens of African immigrant fertility in France. Max Planck Institute for Demographic Research, Working Paper.
https://wol.iza.org/articles/does-return-migration-influence-fertility-at-home

15 Hamilton, Erin & Villarreal, Andre´s & Hummer, Robert. (2009). Mother's, Household, and Community U.S. Migration Experience and Infant Mortality in Rural and Urban Mexico. Popul Res Policy Rev, 28:123–142.

16- IOM.(2018). Labour migration, Remittances, Recruitment costs, Types of migration.
https://migrationdataportal.org/themes/labour-migration

17- IOM.(2018). Migration flows, International Student.
https://migrationdataportal.org/themes/international-students#data-sources

18- Keeley, C. (2000). Demography and International Migration. In C. Brettell, and J. Hollifield (Ed.). Migration Theory. (43–60), New York, Routledge.

19- Kelly, Philip & Lusis, Tom.(2006). Migration and the transnational habitus: evidence from Canada and the Philippines. Environment and Planning A, Volume 38, 831 -847.

20- Lindstrom, David & Saucedo, Silvia.(December 2007). The interrelationship between fertility, family maintenance, and Mexico-U.S. migration, Demographic Research, Volume 17, Article 28, 821-858.
http://www.demographic-research.org/Volumes/Vol17/28/

21- Migration Policy Centre.(June, 2013). Egypt: The Demographic-Economic Framework of Migration: The Legal Framework of Migration The Socio-Political Framework of Migration.
http://www.migrationpolicycentre.eu/docs/migration_profiles/Egypt.pdf
22- Mussino, Eleonora & Strozza, Salvatore.(February 2012). The fertility of immigrants after arrival: The Italian case. Demographic Research, Volume 26, Article 4, 99-130.
http://www.demographic-research.org/Volumes/Vol26/4/
23- Nowicka, Magdalena.(2015). Bourdieu's theory of practice in the study of cultural encounters and transnational transfers in migration. (MMG) Max Planck Institute for the Study of Religious and Ethnic Diversity, Working Paper 15-01.
24- Rosero-Bixby, Luis & Casterline, John.(1993). Modelling Diffusion Effects in Fertility Transition. Population Studies, 47, 147-167.
25- Turner ,Stanley.(2006). The Cambridge Dictionary of Sociology. First published , Cambridge University Press.
26- United Nations.(2017). World Population Prospects: The 2017 Revision, Key Findings and Advance Tables, Department of Economic and Social Affairs, Population Division, New York.
27- Vitali, Agnese & Billari, Francesco.(December 2014). Changing determinants of low fertility and diffusion: A spatial analysis for Italy. (ESRC) Centre for Population Change, Working Paper, 1-33.

ملحق الدراسة: دليل المقابلة المتعمقة

أولاً: البيانات الأولية

- السن
- محل الإقامة (ريف / حضر)
- السن عند الزواج
- عدد أفراد الأسرة
- بلد الهجرة
- تاريخ الهجرة (سنة الهجرة)
- تاريخ العودة (سنة العودة)
- الهجرة بمفرده أو باصطحاب العائلة

ثانيًا: ثقافة الإنجاب في الموطن الأصلي، وقبل هجرة حالات الدراسة

- **صف لنا أهم ما يتصف به المجتمع الذى تقيم به من قيم وعادات وتقاليد وممارسات تتعلق بالإنجاب، وتصوراتك نحوها قبل قرار الهجرة على هذا النحو:**

- الزواج المبكر والاختيار للزواج
- ختان الإناث وعاداته وطرق ممارساته
- استخدام وسائل تنظيم الأسرة وتوقيتها
- تفضيل إنجاب الذكور
- حجم الأسرة ومدى الاكتفاء بطفلين فقط

- **هل نقلت أيًّا من القيم السابق مناقشتها آنفًا إلى مجتمع المهجر أثناء فترة إقامتك؟**
- **هل كنت محافظًا على تلك القيم ومتمسكًا بها أم تغيرت تدريجيًّا، وما السبب في كلا الحالتين؟**
- **صف لنا رأيك فيما يلى من موروثات ثقافية تتعلق بالإنجاب قبل الهجرة وبعد العودة للموطن الأصلي:**

- كثرة الأولاد تجلب العزوة والسند والفخر
- سرعة الإنجاب بعد الزواج دليل على فحولة الرجل
- ختان الإناث جائز دينيًّا ويحصن الفتاة

- **ما موقفك من الموضوعات التالية قبل الهجرة وبعدها:**

- متابعة الحمل والولادة وهوية القائم بالولادة
- العمر الأنسب للزواج وبدء الإنجاب
- تنظيم الأسرة وموقف الدين منه

ثالثًا: ثقافة الإنجاب في مجتمع الهجرة: مكتسباتها ومحاولات نقلها بعد العودة

- **صف لنا أهم ما يتصف به المجتمع الذى هاجرت إليه من قيم وعادات وتقاليد وممارسات تتعلق بالإنجاب على هذا النحو:**

- سن الزواج والاختيار للزواج
- ختان الإناث وطرق ممارساته
- استخدام وسائل تنظيم الأسرة عقب الزواج أو قبل إنجاب الطفل الأول
- تفضيل إنجاب الذكور
- الاكتفاء بطفلين فقط

- **ما القيم والمعايير والسلوكيات التي تأثرت بها أثناء إقامتك بمجتمع الهجرة وترى أنها إيجابية بالنسبة لك؟**
- **صف لنا محاولات أو صور أو نماذج الثقافة الإنجابية التي اكتسبتها، وحاولت نقلها بعد عودتك سواء للأصدقاء أو الجيران أو الأقارب؟**

في حال الفشل في نقل الثقافة الإنجابية الغربية للفئات المذكور بمجتمع الدراسة، فما العقبات التي واجهتها عند محاولة إعادة تشكيل الثقافة الإنجابية بمجتمع الدراسة؟